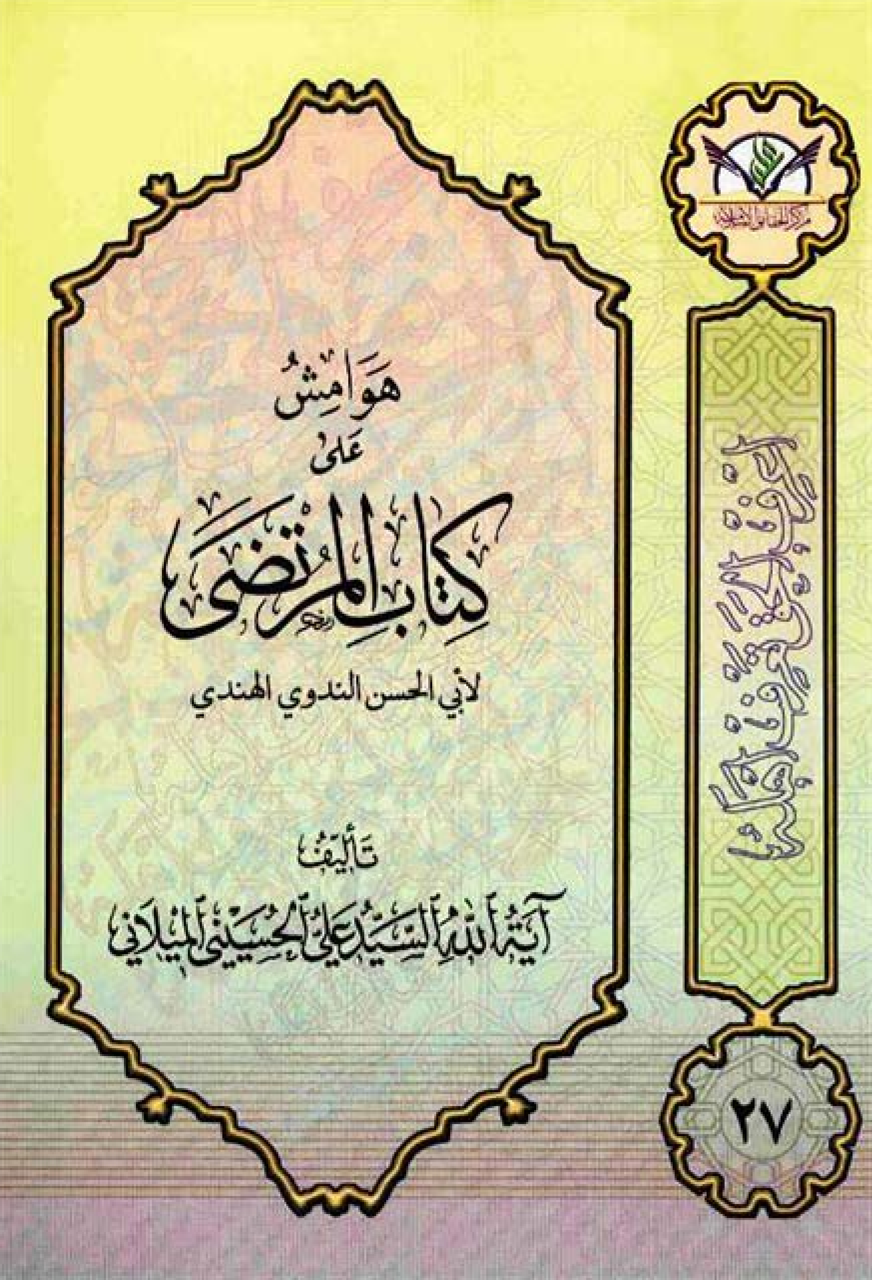

هوامش
على
كتاب المرتضى
لأبي الحسن الندوي الهندي
تأليف
آية الله السيد علي الحسيني الميلاني
٢٧



اعرف الحق تعرف أهله

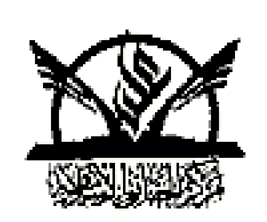
(٢٧)

هوامش على كتاب المرتضى

سيرة أمير المؤمنين سيّدنا أبي الحسن
عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وكرّم الله وجهه

بقلم: أبو الحسن علي الحسني الندوي
السيّد عليّ الحسينيّ الميلانيّ

مركز الحقائق الإسلامية



الكتاب: هوامش على كتاب: المرتضى

المؤلف: آية الله السيد علي الحسيني الميلاني

نشر: الحقائق

المطبعة: وفا

الطبعة: الرابعة ـ ١٤٣٠

الكميّة: ١٥٠٠ نسخة

ردمك: ١ – ٠٧ – ٥٣٤٨ – ٦٠٠ – ٩٧٨ 978 - 600 - 5348 - 07 - 1

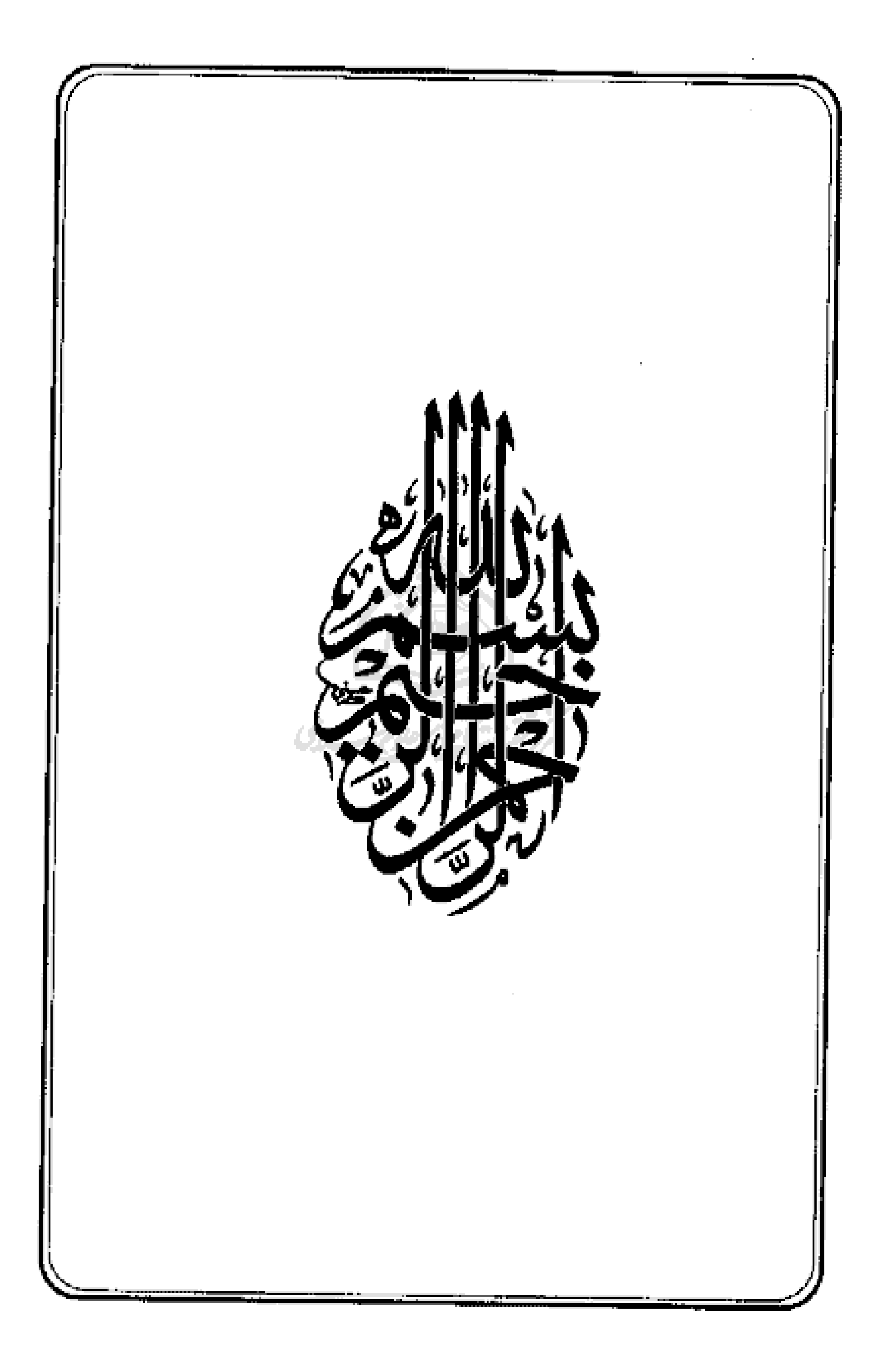
عنوان المركز: قم، شارع صفائيه، فرع ٣٤، فرع ايرانيزاده، رقم ٣٢، الهاتف: ٧٧٣٩٩٦٨-٠٢٥١،
الفاكس: ٧٧٤٢٢١٢-٠٢٥١

عنوان مركز النشر: قم، شارع صفائيه، مقابل صندوق قرض الحسنه دفتر تبليغات،
الهاتف: ٧٨٣٧٣٢٠-٠٢٥١

عنوان مركز التوزيع في مشهد: شارع الشهداء، خلف حديقة نادري (باغ نادري)، فرع الشهيد خوراكيان،
بناية گنجينه كتاب التجارية، نشر نور الكتاب، الهاتف: ٢٢٤٢٢٦٢-٠٥١١ ٠٩١٥١١٩٩٤٨٦

عنوان مركز التوزيع في اصفهان: شارع چهارباغ پائين، أمام ملعب تختي الرياضي المركز التخصصي
للحوزة العلمية في أصفهان، الهاتف: ٢٢٢٢٤٢٣-٠٣١١

الموقع: www.Al-haqaeq.org ـ البريد الالكتروني: Info@Al-haqaeq.org


بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة المركز

نظراً للحاجة الماسّة والضرورة الملحّة لنشر العقائد الحقّة والتعريف بالفكر الشيعي، بالبراهين العقليّة المتقنة والأدلّة النقلية من الكتاب والسنّة، من أجل ترسيخها في أذهان المؤمنين، ودفع الشبهات المثارة حولها من قبل المخالفين، فقد بادر (مركز الحقائق الاسلامية) بإخراج سلسلة علمية ـ عقائدية، متنوّعة، تميّزت بجامعيتها بين العمق في النظر والقوّة في الاستدلال والوضوح في البيان، تحت عنوان (إعرف الحق تعرف أهله)، وهي من بحوث سماحة الفقيه المحقق آية الله الحاج السيد علي الحسيني الميلاني (دام ظلّه)، آملين أن نكون قد قمنا ببعض الواجب الملقى على عواتقنا في هذه الأيام التي كثرت فيها الشبهات وازدادت الانحرافات، سائلين الله ﷻ أن يسدّد خطانا على نهج الكتاب والعترة الطاهرة كما أوصى الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم، والحمد لله رب العالمين.

مركز الحقائق الاسلامية



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين، من الأوّلين والآخرين.

وبعد:

فإنّه يصلنا بين كلّ يومٍ وآخر كتاب عن الشيعة وأئمّتها وعقائدها، من مختلف البلدان، الإسلامية منها وغير الإسلامية، يكتبها «دكاترة» و«مشايخ» يحاولون الصدّ عن انتشار التشيّع في العالم، والوقوف أمام توجّه أبناء الفرق الأخرى إليه...

وكذلك الحال في كلّ زمان ومكان... فما خرج «منهاج السُنّة» من الشام، ولا «الصواعق المحرقة» من مكّة، ولا «التحفة الاثنا عشرية» من الهند، ولا غير هذه الكتب في الأزمنة والأمكنة المختلفة... إلّا لهذا السبب...

يقول ابن حجر المكّي في مقدّمة كتابه: «سئلت قديماً في تأليف كتاب يبيّن حقيقة خلافة الصدّيق وإمارة ابن الخطّاب، فأجبت إلى ذلك مسارعةً في خدمة هذا الجناب... ثمّ سئلت في إقرائه في رمضان سنة ٩٥٠ بالمسجد الحرام، لكثرة الشيعة والرافضة ونحوهما الآن بمكّة المشرّفة، أشرف بلاد الإسلام، فأجبت إلى ذلك، رجاءً لهداية بعض من زلّ به قدمه عن أوضح المسالك»!!

وكأنّ هذا السبب الآن أقوى من أيّ وقتٍ مضى... فما أكثر الكتب والمقالات في المجلّات... وحتّى الأشرطة... التي تُنشر ضدّ هذا المذهب على مختلف المستويات... في هذه الأيّام... لكنّها ـ في الأغلب ـ تكرار لما تقوّله الأقدمون، واجترار لِما لفظه الغابرون، وتهجّمات لا يقوم بها إلّا الجاهلون... ولا جواب لها... إلا «السلام».

إلّا أنّا نجد ـ من بين تلك الكتب ـ كتباً نادرةً يبدو أنّ مؤلّفيها شعروا بأنّ التهريج والافتراء لا يلائم روح العصر، وأنّه لا يجدي إنْ لم يثمر العكس....

فجاءوا يدّعون العلميّة والتحقيق، ويتظاهرون للنبي وآله بالولاء والتصديق... فكانت كتبهم بظاهرها جديرةً بالقراءة والدراسة....

لكنّك إذا لاحظتها وجدتها لا تختلف في واقعها عن غيرها... إلّا من ناحية الأسلوب، أعني خلوصها ـ إلى حدٍّ ما ـ من السبّ والشتم....

أمّا خلوصها من التحريف، من الكذب، من كتم الحقائق، من إنكار الأمور المسلّمة... فلا....

ولقد وقع اختياري على عدّةٍ من الكتب المنتشرة في الردّ على عقيدة الشيعة، من أجل الردّ عليها على ضوء روايات أهل السنّة في كتبهم المعروفة المعتمدة وكلمات كبار حفّاظهم وعلمائهم الأعلام في القرون المختلفة، فمنها:

كتاب صغير ألّفه الدكتور السالوس حول حديث «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي...»، فوضعت في ردّه كتاب (حديث الثقلين: تواتره وفقهه).

وكتيّب آخر نشره حول آية التطهير، فألّفت في الرد عليه كتاب (مع الدكتور السالوس في آية التطهير).

وأخرج آخر باسم مستعار كتاباً زعم أنه ردٌّ على كتاب المراجعات للمجتهد الأكبر المرحوم السيد عبدالحسين شرف الدين الموسوي العاملي، فكان السّبب في تأليفي لكتاب (تشييد المراجعات وتفنيد المكابرات).

ثم وقع بيدي كتاب في أقل من ٢٠٠ صفحة زعم مؤلّفه أنه سيرة أمير المؤمنين علي عليه الصّلاة والسلام.

الكتاب عنوانه «المرتضى: سيرة أمير المؤمنين سيّدنا أبي الحسن

عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه وكرّم الله وجهه» ومؤلّفه: «أبو الحسن علي الحسني الندوي» من منشورات «دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بدمشق».

وهو في فصول عشرة:

الفصل العاشر: سادة أهل البيت وأولاد علي، ٢٢١ ـ ٢٥٠.

فالكتاب كلّه يقع في ٢٥٠ صفحة!

والمتعلّق منه بالموضوع ـ وهو سيرة المرتضى أمير المؤمنين ـ ١٩٠ صفحة فقط!!

تناولت هذا الكتاب... وأنا مستغرب كيف تمكّن المؤلّف من أنْ يودع «سيرة المرتضى أمير المؤمنين» في صفحة ١٩٠ فقط؟!

فوجدته يقول في المقدّمة:

«ومن هذه الشخصيات المظلومة أو المهضومة حقّها: شخصيّة سيّدنا عليّ بن أبي طالب، التي تراكمت عليها حجب كثيفة!! على مدى القرون والأجيال، لأسباب مذهبيّة طائفيّة ونفسيّة، ولم ينصف لها حقّ الإنصاف، ولم تُعْرض للدارسين والباحثين ـ وحتّى للمحبّين المُجِلّين ـ في صورتها الحقيقيـة، وإطارها الواسع الشامل، وفي استعراض ـ أمين دقيق محايد ـ للعصر الذي نبغت فيه، والأحداث التي عاشتها، والمجتمع ورجاله وقادته الّذين عاصرتهم وتعاونت معهم، والمعضلات والمصاعب التي واجهتها، والقيم والمُثل التي تمسّكت بها أشدّ التمسّك، والخطّة السياسيّة والإدارية التي آثرتها، ولم يبحث عن أسبابها ونتائجها، ولم تقارن بنقيضها وضدّها ونتائجه، لو فضّله وسار عليه».

قرأت هذه الفقرة وازداد تعجّبي واستغرابي، وخشيت أن يكون هذا المؤلّف أيضاً ممّن لم ينصف تلك الشخصية المظلومة أو المهضومة حقّها!! بل يكون هو أيضاً من الظالمين لها والهاضمين لحقّها!!

ثم رأيته يقول:

«ولكنّي بدأت بعد ذلك أشعر -بشدّة- بفراغ مثير للاستغراب والدهشة في المكتبة الإسلامية العالمية، فيما يختصّ بموضوع سيرة سيّدنا عليّ بن أبي طالب، سيرةً موسّعة مؤسّسة على دراسة تاريخية جديدة واسعة، يتخطّى فيها المؤلّف الحدود المرسومة التي قيّد فيها المؤلّفون كتاباتهم...».

فقلت: وهل ملأتَ الفراغ المثير للاستغراب والدّهشة، وجئتَ بـ«سيرة موسّعة مؤسّسة على دراسة...» في فصولٍ لا تبلغ المائة ورقة؟!

وحينئذٍ عزمت على مواصلة القراءة، لأفهم -قبل كلّ شيء- كيف تكون المعجزة؟!... «سيرة موسّعة»... «تملأ الفراغ»... لشخصيّة «مظلومة أو مهضومة حقّها...» «في إطارها الواسع الشامل...»... «في استعراضٍ أمينٍ دقيقٍ محايد...»... في ١٩٠ صفحة!!

وثمّة شيء آخر.. في المقدّمة.. يلفت النظر.. وهو وصفه هذا الكتاب بقوله:

«لا يكون عيالاً على ما كتب وأُلف، ولا على مصادر التاريخ المعدودة العرفية المعيّنة، التي يستقي منها المؤلّفون معلوماتهم في الغالب...».

ثم قوله:

«إنّي التزمت في تأليف هذا الكتاب مبدأين كلّ الالتزام:

أوّلاً: أنْ أعتمد على الكتب القديمة الموثوق بها المتلقّاة بالقبول فقط.

ثانياً: التزمت الإحالة في النقل إلى اسم الكتاب بقيد الجزء ورقم الصفحة...».

ولكنّك إذا ما راجعت فهرس مصادره وجدتّه يستقي معلوماته من «مصادر التاريخ المعدودة العرفيّة المعيّنة» أمثال «سيرة ابن هشام» و«البداية والنهاية»....

ويخالف ما يدّعي الالتزام به في قوله: «أعتمد على الكتب القديمة...» فقد اعتمد كثيراً على «البداية والنهاية» و«إزالة الخفاء في سيرة الخلفاء» و«السيرة الحلبية» ونحوها من كتب المتأخرين، حتّى أنّه رجّح في غير موردٍ ما جاء في أحد هذه الكتب على ما روته «الكتب القديمة» كـ«تاريخ الطبري» و«سيرة ابن هشام»... مضافاً إلى تصريحه في هامش الصفحة ٩ من المقدّمة بأنّه قد «أفاد كثيراً» من كتاب «عبقرية

الإمام» للأستاذ عبّاس محمود العقّاد، بعد أن وصفه بقوله: «إنّ ممّا يقتضيه الإنصاف والاعتراف بالحقّ: إنّ خير ما كتب عن سيّدنا عليّ رضي الله عنه هو كتاب عبقرية الإمام...».

وبعد:

فهذه هوامش وضعتها باختصار على أهمّ الفصول المتعلّقة من الكتاب بـ«المرتضى»، تبييناً للحقائق التي أنكرها أو أغفلها، وتنبيهاً على الأساليب الملتوية التي سلكها، متّبعاً أثر أئمّته السابقين، ومشيّداً لما أسّسه أسلافه الأول... لكنْ بدسّ السمّ في العسل... ومن الله الهداية في القول والعمل.

علي الحسيني الميلاني

١٤٢٩

الفصل الأوّل

عليّ بن أبي طالب في مكّة

[١] صفات أمير المؤمنين موروثة؟!

قال في الصفحة ١٧:

«يحسن بنا أن نستعرض ـ في أمانة تاريخيّة وحياد علمي ـ وضع الأسرة والسلالة اللتين وُلد ونشأ فيهما أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب...».

كأنّه يريد أنّ الخصائص التي امتاز بها أمير المؤمنين عليه السّلام والصفات التي فضّلته على غيره... إنّما هي قضايا موروثة من آبائه، فللدم الموروث في أعضاء الأسرة كابراً عن كابر تأثير على أخلافها وذرّيّاتها....

فالفضل في كلّ ما كان الإمام عليه السلام يتمتّع به من الصفات

العالية في أعلى درجاتها، كالشجاعة والبلاغة... يعود إلى القبيلة التي كان ينتمي إليها، والأسرة التي نشأ فيها....

وكأنّ الرجل نسي ـ أو تناسى كما تقتضيهما الأمانة التاريخية والحياد العلمي!! ـ أنّه لم يوجد في بني هاشم ولا قريش... من كان يداني سيّدنا المرتضى عليه السّلام في شيء من الصفات التي كانت متوفّرة فيه، وحتّى إخوته الّذين نشأوا معه وعاشوا سويّة... لم يبلغوا معشار ما بلغه....

إذن، ليست القضيّة قضيّة عشيرة وقبيلة، أو أسرة وبيئة...

ثمّ ما يقول المؤلّف في النّبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم؟! هل كانت صفاته التي كان عليها موروثة من آبائه كما يقول «علم التشريح وعلم النفس وعلم الأخلاق وعلم الاجتماع» ـ على حدّ تعبيره ـ؟!

إنّ حال أمير المؤمنين عليه السلام في فضائله التي ميّزته عن أبناء أسرته حال النّبي صلّى اللّه عليه واله وسلّم، فإنّ ذلك فضل من اللّه يؤتيه حيث يجعل رسالته....

[٢] مات أبو طالب ولم يسلم؟!

قال في الصفحة ٢٢:

«مات أبو طالب في النصف من شوّال في السنة العاشرة من النّبوة،

وهو ابن بضع وثمانين سنة، وهو العام الذي ماتت فيه خديجة زوج النبي صلّى الله عليه [وآله] وسلّم.

ولم يسلم أبو طالب، وهو المشهور الثابت من كتب الحديث والسيرة، المعروف عند المسلمين قديماً وحديثاً، وقد تأسّف على ذلك رسول الله صلّي الله عليه [وآله] وسلّم وحزن له، وذلك يدلُّ على أنّ هذا الدين دين مبدئي عقائدي، لا يحابي فرداً ولا سلالةً على أساس نسبٍ وسلالةٍ، أو رحم وقرابة، ولا على حبٍّ ودفاع، إذا لم تقرن به عقيدة صحيحة وإيمان بما جاء به الرسول».

أقول:

أمّا أنّ ما زعمه هو المعروف بين المسلمين قديماً وحديثاً، فكذب صريح، إذ الشيعة مجمعون على إسلام سيّدنا أبي طالب عليه السّلام وإيمانه، وجماعة كبيرة من علماء الفرق الأُخرى، ينصّون على ذلك ويعترفون به، وقد أُلّفت في إثباته الكتب قديماً وحديثاً.

وأمّا أنّه الثابت من كتب الحديث والسيرة، فكذب آخر، لأنّ كتب الشيعة متّفقة على إسلامه، وكتب غيرهم مشحونة بالأخبار الثابتة والآثار الواضحة الدلالة على إيمانه.

وأمّا أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم «قد تأسّف على ذلك» أي

على عدم إسلام أبي طالب عليه السلام، فكذب ثالث.

ولنذكر بعض الروايات الصريحة في موته مسلماً ومؤمناً، عن المصادر «الموثوق بها المتلقّاة بالقبول» كما قال، وذلك إلزاماً للمكابر، وإلّا فلسنا بحاجةٍ إلى ما يروونه في مثل هذا الموضوع الثابت عندنا بالضرورة:

فمن ذلك: قول أبي طالب لعليّ عليه السلام لمّا رآه يصلّي مع النبي:

«أما إنّه لم يدعُك إلّا إلى خيرٍ، فالزمه»[1].

ورووا قوله لجعفر ـ لمّا رأى النّبي وعليّاً عن يمينه يصلّيان ـ: «صِلْ جناحَ ابن عمّك وصلّ عن يساره»[2].

ومن ذلك: قوله مخاطباً لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«والله لنْ يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسّد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وأبشر بذاك وقرّ منك عيونا

(١) رواه المؤلّف في ص ٣١ عن سيرة ابن هشام ١ / ٢٤٦، وهو أيضاً في تاريخ الطبري ٢ / ٢١٤، وسيرة ابن سيّد الناس ١ / ٩٤، وفي الإصابة ٤ / ١١٦، وغيرها.

(٢) أسد الغابة ١ / ٢٨٧.

ودعوتني وعلمت أنّك ناصحي ولقد دعوتَ وكنتَ ثمّ أمينا
ولقد علمت بأنّ دين محمّد من خير أديان البريّة دينا»[١]

ومن ذلك: قوله في شعرٍ له في أمر الصحيفة المعروف المشهور:

«ألم تعلموا أنا وجدنا محمّداً رسولاً كموسى خُطّ في أول الكتب»[٢]

ومن ذلك: ما ورد في كتب القوم بأسانيد يروون بها عن سيّدنا أبي طالب عليه السلام أنّه قال: «حدّثني محمّد ابن أخي، وكان والله صدوقاً، قال: قلت له: بمَ بُعثت يا محمّد؟ قال: بصلة الأرحام وإقام الصّلاة وإيتاء الزكاة»[٣].

ومن ذلك: وصيّته، فإنّه دعا بني عبدالمطّلب فقال: «لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمّد وما اتبعتم أمره، فاتّبعوه وأعينوه ترشدوا»[٤].

ومن ذلك: إقراره بالشهادة قبيل وفاته، كما ذكر علماء القوم في كتبهم، ونكتفي هنا بكلام أبي الفداء حيث قال:

---

(١) البداية والنهاية ٣ / ٤٢، فتح الباري ٧ / ١٥٣، السيرة الحلبية ١ / ٣٠٥، المواهب اللدنّية بالمنح المحمديّة ١ / ٦١.

(٢) سيرة ابن هشام ١ / ٣٧٣، ابن كثير ٣ / ٨٧، وغيرهما.

(٣) الإصابة ٤ / ١١٨، أسنى المطالب ـ لأحمد زيني دحلان ـ: ٦، وغيرهما.

(٤) الطبقات الكبرى ١ / ٧٩.

«ذكر وفاة أبي طالب: توفّي في شوّال سنة عشر من النبوّة، ولـمّا اشتدّ مرضه قال له رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: يا عمّ قلها، أستحلّ لك بها الشفاعة يوم القيامة ـ يعني الشهادة ـ.

فقال له أبو طالب: يا ابن أخي، لولا مخافة السبّة وأنْ تظنّ قريش إنّما قلتها جزعاً من الموت، لقلتها.

فلما تقارب من أبي طالب الموت، جعل يحرّك شفتيه، فأصغى إليه العبّاس بأُذنه وقال: والله ـ يا ابن أخي ـ لقد قال الكلمة التي أمرته أنْ يقولها.

فقال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: الحمدلله الذي هداك يا عمّ.

هكذا روى ابن عبّاس. والمشهور[1] أنّه مات كافراً.

ومن شعر أبي طالب ممّا يدلّ على أنّه كان مصدّقاً لرسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم قوله:

ودعوتني وعلمت أنّك صادقٌ ولقد صدقت وكنت ثَمَّ أمينا

---

(١) أي بين المناوئين لله ولرسوله، لكنّ المتأمّل في كلام أبي الفداء صدراً وذيلاً يحكم بأنّ هذا المؤرّخ مخالف لهذا.

ولقد علمتُ بأنّ دينَ محمّد   من خير أديان البريّة دينا

والله لن يصلوا إليك بجمعهم   حتى أوسّد في التراب دفينا

وكان [عمر] أبي طالب بضعاً وثمانين سنة»[١].

وقال السيّد أحمد زيني دحلان بعد نقل حديث العبّاس: «نقل الشيخ السحيمي في شرحه على شرح جوهرة التوحيد، عن الإمام الشعراني والسبكي وجماعة: أنّ ذلك الحديث ثبت عند بعض أهل الكشف، وصحّ عندهم إسلامه».

هذا، ولا يخفى أنّه قد جاء حديث العبّاس في سيرة ابن هشام مع إضافة في آخره، وهو أنّ النبيّ ـ لمّا أخبره العبّاس بقول أبي طالب الكلمة التي أمرها بها ـ قال: «لم أسمع».

ولكنّ الصحيح ما جاء في تاريخ أبي الفداء فإنّه عن ابن عبّاس، ولابدّ وأنّه يرويه عن أبيه الذي هو صاحب القصّة.

لكنّ القوم زادوا تلك الكلمة وجعلوا يفسّرونها بما لا يخلو من اضطراب، ففي «الروض الأنف» في شرح هذا الموضع: شهادة العبّاس لأبي طالب لو أدّاها بعد ما أسلم لكانت مقبولة ولم يُردّ بقوله: لم أسمع، لأنّ الشاهد العدل إذا قال: سمعت، وقال من هو أعدل منه: لم أسمع، أُخذ

---

(١) المختصر في أخبار البشر ١ / ١٢٠.

بقول من أثبت السماع، لأنّ عدم السماع يحتمل أسباباً منعت الشاهد من السمع. ولكنّ العبّاس شهد بذلك قبل أنْ يسلم».

قلت:

أولاً: قد عرفت بطلانَ هذه الزيادة.

وثانياً: إنّ العبّاس في هذا الموضع مخبِرٌ وليس بشاهدٍ، والمُخبِر إنْ كان موثوقاً في إخباره يُقبل منه، ولا يشترط فيه العدالة كما لا يشترط التعدُّد، بل لا يشترط فيه الإسلام، ويشهد بذلك قبول النبيّ صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم خبر سلمان رضوان اللّٰه عليه في الهديّة والصدقة قبل إسلامه، وترتيب النبيّ صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم الأثر على إخباره بأنّ الطبق المقدَّم له من الرطب صدقة فلم يأكل منه، ثمّ إخباره مرّة أُخرى عن طبق آخر قدّمه إليه بأنّه هديّة، فجعل صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم يأكل ويقول لأصحابه: كلوا.. فحينذاك أسلم سلمان.

وذلك في قضيّة معروفة رواها أحمد في المسند[1]، وغيره، واستشهد بها كبار العلماء في كتبهم في علم أُصول الفقه في مبحث خبر الواحد، راجع في ذلك مثلاً: كشف الأسرار[2].

(١) مسند أحمد ٥ / ٤٣٨.

(٢) كشف الأسرار عن أصول فخر الاسلام ٢ / ٦٨٥.

فيظهر أنّ السهيلي ـ على جلالته ـ نسي أو تناسى قصّة سلمان التي كانت من الثبوت بحيث اعتمد عليها الأُصوليّون في بحوثهم.

ومن ذلك: ما كان من النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم من قولٍ وفعلٍ بعد وفاته، وإيراد بعض ذلك ـ ولو باختصار ـ كافٍ في بيان المطلب وكذب المؤلّف:

١ ـ بكاؤه الشديد على فقده؛

٢ ـ حضوره جنازته؛

٣ ـ معارضته لجنازته؛

٤ ـ دعاؤه له بقوله: «جزاك الله عنّي خيراً»؛

٥ ـ أمره عليّاً بأنْ يغسّله ويكفّنه ويواريه[1].

وأخرج ابن سعد في الطبقات بسندٍ صحيح عن إسحاق بن عبدالله:

قال العبّاس: «يا رسول الله، أترجو لأبي طالب؟

قال: كلّ الخير أرجو من ربّي»[2].

---

(١) الطبقات الكبرى ١ / ١٠٥، تاريخ ابن كثير ٣ / ١٢٥، تاريخ بغداد ١٣ / ١٩٦، الإصابة ٤/١١٦، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٦.

(٢) الطبقات الكبرى ١ / ١٠٦.

[٣] أين كان مولد عليّ؟

قال في الصفحة ٢٨:

«قال الحاكم في ترجمة حكيم بن حزام: قد تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علياً في جوف الكعبة، وولد حكيم بن حزام في الكعبة. وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: اختلف في مولد عليّ عليه السلام أين كان؟ فكثير من الشيعة يزعمون أنّه ولد في الكعبة، والمحدّثون لا يعترفون بذلك، ويزعمون أنّ المولود في الكعبة: حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزّى بن قصيّ».

أقول:

هنا نقاط:

أوّلاً: كلام الحاكم بترجمة حكيم بن حزام هو: «تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علياً في جوف الكعبة» هذا كلامه. وليس بعده «وولد حكيم بن حزام في الكعبة» كما لا يخفى على من راجع المستدرك[1].

ولعلّه من هنا لم يذكر المؤلّف المصدرَ الذي نقل عنه هذا الكلام!

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣ / ٤٨٢.

نعم، نقل الحاكم بترجمة حكيم بسندٍ له عن «عليّ بن غنّام العامري» أنّه وُلد حكيم بن حزام في جوف الكعبة.

لكنّ الذي يعتقده الحاكم هو الذي نصّ على تواتر الأخبار به.

أمّا القائل بولادة حكيم فيها وهو «عليّ بن غنّام العامري» فلم أجد له في الكتب الرجاليّة ذكراً، فقيل: أنّ «غنّام» مصحّف «عثّام»، فهو أبو الحسن الكلابي المتوفّى سنة ٢٢٨، فإنْ كان الأمر كما ذكر، خرج الرجل عن الجهالة، إلّا أنّه لا قيمة لخبره، لأنّ المفروض كونه من رجال القرن الثالث ولا يدرى عمّن يروي ذلك؟!

وثانياً: نقله عن ابن أبي الحديد وكتابه «شرح نهج البلاغة» يُفيد كون المؤلّف والمؤلَّف موثوقاً به ومقبولاً عنده، لكونه قد زعم الالتزام بالكتب الموثوق بها والمقبولة فقط.

وثالثاً: الغرض من ذكره كلام ابن أبي الحديد بعد كلام الحاكم وسكوته عليه، هو التشكيك في صحّة ما نصّ عليه الحاكم، ولكنْ كان من المناسب أن يُعارض كلام الحاكم بكلام إمامٍ من أئمّة الحديث، لا بكلام أديبٍ مؤرّخ خلط في كتابه بين الغثّ والسمين.

ورابعاً: كلام ابن أبي الحديد مردود، فإنّ القول بولادة أمير المؤمنين عليه السلام في الكعبة هو قول عامّة الشيعة لا كثير منهم.

بل، لقد نصّ غير واحدٍ من أعلامهم المتقدّمين والمتأخرين أنّ هذه الفضيلة خصيصة من خصائص أمير المؤمنين عليه السلام، فراجع مثلاً:

* الإرشاد إلى معرفة حجج الله على العباد ١ / للشيخ محمّد بن محمّد بن النعمان البغدادي الملقّب بالمفيد، المتوفى سنة ٤١٣.

* خصائص الأئمة ص ٤، للشريف الرضي الموسوي البغدادي، المتوفى سنة ٤٠٦.

* شرح قصيدة السيد الحميري ص ٥١، للشريف المرتضى الموسوي البغدادي سنة ٤٣٦.

* إعلام الورى بأعلام الهدى: ١٥٣، للشيخ أبي علي الطبرسي صاحب مجمع البيان في تفسير القرآن، المتوفى سنة ٥٤٨.

* الخرائج والجرائح ٢ / ٨٨٨، للشيخ قطب الدين الراوندي المتوفى سنة ٥٧٣.

* مناقب آل أبي طالب ٢ / ١٧٥، للشيخ ابن شهراشوب السروي، المتوفى سنة ٥٨٨.

* عمدة عيون صحاح الأخبار: ٢٤، للشيخ الحافظ ابن البطريق الحلّي، المتوفّى سنة ٦٠٠.

* كشف الغمة في معرفة الأئمة ١ / ٥٩، للشيخ الوزير بهاء الدين الإربلي المتوفى سنة ٦٩٣.

* نهج الحق وكشف الصدق: ٢٣٣، للعلّامة الحلّي المتوفى سنة ٧٢٦.

وقوله: «والمحدّثون لا يعترفون بذلك» يردّه كلام الحاكم الملقّب عندهم بـ«إمام المحدّثين».

وأيضاً، فقد نصّ على ولادته عليه السلام في الكعبة، وتواتر الأخبار بذلك، كثير من علماء أهل السُّنّة من محدّثين ومؤرّخين، منهم شاه وليّ الله الدهلوي، صاحب كتاب «إزالة الخفاء» الذي هو من مصادر المؤلّف[1].

ومنهم جماعة ينصّون على اختصاص هذه الفضيلة بأمير المؤمنين عليه السلام:

* قال الحافظ أبو عبدالله الكنجي الشافعي (المقتول سنة ٦٥٨):

«أخبرنا الحافظ أبو عبدالله محمّد بن محمود النجّار ـ بقراءتي عليه ببغداد ـ فقلت له: قرأت على الصفّار بنيسابور: أخبرتني عمّتي عائشة، أخبرنا ابن الشيرازي، أخبرنا الحاكم أبو عبدالله محمّد بن عبدالله الحافظ النيسابوري قال: ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بمكّة في بيت الله الحرام، ليلة الجمعة، لثلاث عشرة ليلة خلت من

(١) إزالة الخفا عن سيرة الخلفا ٤ / ٤٠٦.

رجب سنة ثلاثين من عام الفيل. ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله الحرام سواه، إكراماً له بذلك وإجلالاً لمحلّه في التعظيم»[١].

أقول: أمّا الحاكم النيسابوري، فمعروف. وكذلك الحافظ ابن النجّار البغدادي المتوفى سنة ٦٤٣، فإنّه من كبار الحفّاظ والمحدّثين الأعلام، كما لا يخفى على من يراجع ترجمته[٢].

* وقال شيخ الإسلام إبراهيم بن محمّد الجويني الحمويني (المتوفى سنة ٧٣٠): «قيل: لم يولد في الكعبة إلّا علي»[٣].

* وقال الحافظ نورالدين ابن الصبّاغ المالكي (المتوفى سنة ٨٥٥): «ولم يولد في البيت الحرام قبله أحد سواه، وهي فضيلة خصّه الله تعالى بها، إجلالاً له وإعلاءً لمرتبته، وإظهاراً لتكرمته»[٤].

* ونقل عن الفصول المهمّة هذه الكلمة مع نسبتها إلى ابن الصبّاغ غير واحدٍ من أثبات أهل السنّة: كالحافظ نورالدين السمهودي (المتوفى

---

(١) كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب: ٤٠٧.

(٢) وصفه الذهبي بـ«الإمام العالم الحافظ البارع محدّث العراق مؤرّخ العصر... كان مع حفظه فيه دين وصيانة ونسك» سير أعلام النبلاء ٢٣ / ١٣١ وأنظر: الهامش للوقوف على مصادر ترجمته.

(٣) فرائد السمطين ١ / ٤٢٦.

(٤) الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ٣٠.

سنة ٩١١) في كتاب (جواهر العقدين) وبرهان الدين الحلبي (المتوفى سنة ١٠٤٤) في (إنسان العيون)، كما ذكر الفقيه المحدّث الأديب الشيخ محمّد علي الغروي الاوردبادي في كتابه (علي وليد الكعبة).

* وقال صفي الدين أحمد بن الفضل بن محمّد باكثير الحضرمي (من أعلام القرن الحادي عشر): «ولد يوم الجمعة ثالث عشر رجب الفرد الحرام سنة ثلاثين من عام الفيل قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة وقيل بخمس وعشرين. وكانت ولادته بالكعبة المشرّفة، وهو أوّل من ولد بها، بل لم يعلم أنّ غيره ولد بها»[1].

* وقال الحافظ محمّد بن معتمدخان البدخشاني الحارثي (من أعلام القرن الثاني عشر): «ولم يولد في البيت الحرام أحد سواه قبله ولا بعده، وهي فضيلة خصّه الله بها»[2].

* وقال محمّد حبيب الله الشنقيطي (المتوفى سنة ١٣٦٣): «ومن مناقبه ـ كرّم الله وجهه ـ أنه ولد في داخل الكعبة، ولم يعرف ذلك لأحدٍ غيره»[3].

---

(١) وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل: ٢٨٢، مخطوط.

(٢) مفتاح النجا في مناقب آل العبا: ٣٤، مخطوط.

(٣) كفاية الطالب: ٣٧.

[٤] إسلام عليّ عليه السلام

قال في الصفحة ٢٩:

«ذكر ابن إسحاق: أنّ عليّ بن أبي طالب ـ رضي اللّه عنه ـ جاء، وهما ـ أي النبيّ صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم وخديجة رضي اللّه عنها ـ يصلّيان، فقال عليّ: يا محمّد، ما هذا؟ قال: دين اللّه الذي اصطفى لنفسه وبعث به رسله، فأدعوك إلى اللّه وحده لا شريك له، وإلى عبادته، وأنْ تكفر باللاّت والعزّى.

فقال عليّ: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاضٍ أمراً حتّى أُحدّث به أبا طالب، فكره رسول اللّه صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم أنْ يفشي عليه سرّه قبل أنْ يستعلن أمره، فقال له: يا عليّ، إذ لم تسلم فاكتم.

فمكث عليٌّ تلك الليلة، ثمّ إنّ اللّه أوقع في قلب عليٍّ الإسلام...».

أقول:

إن أمير المؤمنين عليه الصّلاة والسّلام أوّل من أسلم، وبذلك أحاديث كثيرة في أهم كتب أهل السنّة، مناقبه عند المسلمين، ولذا يعدّ في فضائله وخصائصه بتراجمه في كتب أهل السنّة أيضاً، فلننقل بعض الأحاديث:

أخرج أحمد ـ في حديث ـ قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله

لفاطمة عليها السلام: «أو ما ترضين أنّي زوّجتك أقدم أمّتي سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً»(١).

وفي حديثٍ أخرجه أبو نعيم وجماعة أنه خاطبه قائلاً: «أنت أوّلهم إيماناً بالله...»(٢).

وفي حديثٍ خاطب عائشة: «يا عائشة، دعي لي أخي، فإنه أوّل الناس إسلاماً، وآخر الناس بي عهداً، وأوّل الناس لي لقياً يوم القيامة»(٣).

وفي حديثٍ أخرجوه عن سلمان قال قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «أوّلكم وارداً عليّ الحوض أوّلكم إسلاماً علي بن أبي طالب»(٤).

نكتفي من الأحاديث بما ذكرناه. ومن الأقوال بما جاء في كتاب الاستيعاب بترجمة الإمام عليه السلام حيث قال:

«وروي عن سلمان وأبي ذر والمقداد وخباب وجابر وأبي سعيد

---

(١) مسند أحمد ٥ / ٢٦، وأنظر: الاستيعاب وأسد الغابة وغيرهما بترجمة الإمام. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ١١٤: رواه أحمد والطبراني برجالٍ وثقوا.

(٢) حلية الأولياء ١ / ٦٥ وأنظر: الرياض النضرة ٢ / ١٩٨.

(٣) الإصابة بمعرفة الصحابة ٤ / ٣٨٩.

(٤) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٣٦، والاستيعاب وذخائر العقبى وغيرهما، وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

الخدري وزيد بن أرقم: إن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه أوّل من أسلم، وفضّله هؤلاء على غيره»[١].

ثم أقول:

إن الخبر الذي أورده المؤلّف هو عن ابن إسحاق صاحب السيرة، لكنّ مصدره كتاب البداية والنهاية لابن كثير[٢]، والذي في السيرة النبوية لابن هشام، وهي تهذيب السّيرة لابن إسحاق كما هو معلوم، ما نصّه:

«ذِكْر أنّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أوّل ذَكَرٍ أسلم. قال ابن إسحاق: ثم كان أوّل ذَكَرٍ من الناس آمن برسول اللّه صلّى اللّه عليه و[آله] وسلّم، وصلّى معه وصدّق بما جاءه من اللّه تعالى: عليّ بن أبي طالب بن عبدالمطّلب بن هاشم، رضوان اللّه وسلامه عليه، وهو يومئذٍ ابن عشر سنين.

وكان ممّا أنعم اللّه على عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه، أنّه كان في حجر رسول اللّه صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم قبل الإسلام.

---

(١) الاستيعاب ٢ / ٤٥٦، وأنظر: أسد الغابة وتهذيب التهذيب والاصابة وغيرها بترجمته عليه السلام.

(٢) البداية والنهاية ٣ / ٢٤.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدالله بن أبي نجيح، عن مجاهد بن جبر أبي الحجّاج، قال: كان من نعمة الله على عليّ بن أبي طالب، وكان ممّا صنع الله له وأراد به من الخير، أنّ قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله صلّى الله عليه و[آله] وسلّم للعبّاس عمّه ـ وكان من أيسر بني هاشم ـ: يا عبّاس: إنّ أخاك أبا طالب كثير العيال... فأخذ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم عليّاً فضمّه إليه وأخذ العبّاس جعفراً فضمّه إليه، فلم يزل عليٌّ مع رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبيّاً، فاتّبعه عليٌّ رضي الله عنه وآمن به وصدّقه، ولم يزل جعفر عند العبّاس حتّى أسلم واستغنى عنه.

قال ابن إسحاق: وذكر بعض أهل العلم أنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم كان إذا حضرت الصّلاة خرج إلى شعاب مكّة، وخرج معه عليّ بن أبي طالب مستخفياً من أبيه طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصلّيان الصّلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا...».

فالذي أورده عن «البداية والنهاية» غير موجود في سيرة ابن هشام!

والخبر الذي رواه ابن إسحاق بإسناده عن مجاهد، أورده المؤلّف عن تاريخ الطبري بسنده عن مجاهد! ثم قال في الهامش: «والحكاية عند محمّد بن إسحاق أيضاً».

والذي جاء في السيرة لابن هشام أنّه «قال ابن إسحاق: وذكر بعض أهل العلم...» أورده المؤلّف عن ابن إسحاق تحت عنوان «بين عليّ وأبي طالب»!!

فالملاحظ: أن المؤلّف يذكر شيئاً عن ابن إسحاق بواسطة ابن كثير الدمشقي وهو غير موجود في السيرة الهشامية، والذي فيه لا يورده...!!

وشيءٌ موجود عند ابن إسحاق، يذكره عن الطبري ولا يورده عن ابن إسحاق، وشيءٌ يورده عنه ولكن تحت عنوانٍ مخترَعٍ من عنده!!

والمهمُّ أنْ نقارن بين الذي في السيرة لابن هشام عن ابن إسحاق، والذي ذكره ابن كثيرٍ عن ابن إسحاق، ثم نسأل المؤلّف عمّا دعاه إلى اعتماد نقل ابن كثير دون ما جاء في نفس سيرة ابن إسحاق؟!

هذا، وقد سبق ابن الأثير في «أُسد الغابة» ابن كثير في هذا الذي أورده معزوّاً إلى ابن إسحاق، ولا أستبعدُ أن يكون ابن كثير قد أخذ المطلب من «أُسد الغابة» بلا مراجعة لسيرة ابن إسحاق.

ثمّ إنّ المؤلّف بعد ما رأى نفسه مضطرّاً إلى الاعتراف بأنّ عليّاً أوّل من أسلم، قال في الصفحة ٣٠:

«وهو ما تدلُّ عليه القرائن وطبيعة الأشياء، فإنّه رضي الله عنه نشأ في أحضان رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، وفي البيئة النبوية

التي احتضنت الدعوة إلى الإسلام، وتبليغ رسالات الله إلى كافة الأنام، والخضوع لتأثيرها ـ إذا لم يكن مانع قاسر أو طبيعة منحرفة قاسية وحاشا علياً عن ذلك ـ شيء طبيعي».

إذن، كان إسلام عليٍّ عليه السلام على أثر وجوده في هذه البيئة، والخضوع لتأثيرها شيء طبيعي، فالفضل للبيئة التي أثرت فيه وحملته على الخضوع...!! هذا معنى كلامه، ويشهد بذلك عبارته بعد هذا حيث قال:

«وقد جمع بعض المحقّقين والباحثين بين الروايات بأنه كان أوّل النساء وأهل البيت إسلاماً خديجة أمّ المؤمنين، وأوّل الرجال الواعين الناضجين إسلاماً أبو بكر الصدّيق، وأوّل الصغار والأحداث إسلاماً عليّ بن أبي طالب. والأوّل أقرب إلى القياس، والله أعلم».

فإسلام عليٍّ عليه السلام كان إسلام تأثر بالبيئة، لا إسلام نضوج!!

وهنا يأتي هذا السؤال:

إذا كان إسلام عليٍّ عن تأثير البيئة، ولم يكن عن وعي ونضج، فما رأيك في الأحاديث المشار إليها؟ وما رأيك بكلمات الصّحابة وكبار التابعين وكبار الأئمة الذين جعلوا هذا الأمر من فضائله الخاصّة به، وفضّله الكثيرون بذلك على غيره؟ وما تصنع بما روي عن

أمير المؤمنين نفسه من فخره بذلك على جميع المسلمين ممّا هو مشهور في الكتب ولم نذكره؟ وما تصنع بالحديث الثابت المعروف بـ«حديث الإنذار» الصريح في خلافة عليٍّ بعد النبيّ فضلاً عن صحّة إسلامه؟!

حديث الإنذار يوم الدار

فيضطرّ المؤلّف لأنْ يتعرّض لحديث الإنذار في يوم الدار، لكنْ باختصارٍ! وفي الهامش! ثم التشكيك في صحّته! فيقول:

«وقد جاءت قصّة ضيافة بني عبدالمطّلب وصنع الطعام لهم، وقيام عليّ بن أبي طالب بذلك على أثر نزول آية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ودعوة رسول الله بني عبدالمطّلب إلى الإسلام، وردّ أبي لهب على ذلك ردّاً قبيحاً، واستجابة عليٍّ ومؤازرته لرسول الله، وما تكلّم به الرسول، في بعض كتب السيرة، وسردها ابن كثير بطولها في كتابه البداية والنهاية ٣/ ٣٩ـ ٤٠، وتكلّم في بعض رواتها، وفيها ما يشكّك في صحّتها وضبطها».

فأقول للمؤلّف:

إنّ قصّة يوم الإنذار وحديث بدء الدعوة المحمّديّة، من أهمّ الأحداث الخالدة في تاريخ الإسلام، ومن أسمى أيام أمير المؤمنين

وأفضل مواقفه في كلّ حياته الكريمة وسيرته المشرّفة... فكيف تغفل ذكرها كما هي واردة في «الكتب القديمة الموثوق بها»، كما وصفتَ تلك الكتب والتزمت بالنقل عنها؟!

أهكذا يكتب عن سيرة «هذه الشخصية المظلومة أو المهضومة حقّها، شخصيّة سيّدنا عليّ بن أبي طالب، التي تراكمت عليها حجب كثيفة على مدى القرون والأجيال، لأسبابٍ مذهبية طائفيّة ونفسيّة، ولم ينصف لها حقّ الإنصاف» كما عرفتها؟!

وكيف تقول: «وقد جاءت قصّة... في بعض كتب السّيرة» والحال أنّ الشيخ عليّ المتّقي الهندي وحده أوردها في كتابه «كنز العمّال» ـ وهذا الكتاب من المصادر التي نقلت عنها في كتابك ـ عن: أحمد بن حنبل، والطحاوي، وابن إسحاق، ومحمّد بن جرير الطبري، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم، والضياء المقدسي؟![1]

ثمّ إنّ المتّقي ينصّ على أنّ ابن جرير الطبري صحّح هذا الحديث، كما أنّ الضياء المقدسي يراه صحيحاً لأنّه أخرجه في كتابه «المختارة» الذي التزم فيه بالصحّة، فما بالك تركت كلّ هؤلاء وقلتَ: «وسردها ابن كثير بطولها في كتابه البداية والنهاية ٣ / ٣٩ـ ٤٠، وتكلّم في بعض

---

(١) كنز العمّال ١٣ / ١٢٩ و ١٣١ و ١٤٩ و ١٧٤.

رواتها، وفيها ما يشكّك في صحّتها وضبطها»؟!!

هذا، ولنورد نصّ الرواية عن ابن إسحاق وابن جرير وجماعة:

«عن عليّ، قال: لمّا نزلت هذه الآية على رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعاني رسول الله فقال: يا عليّ، إنّ الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أنّي مهما أناديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمتُّ عليها، حتى جاءني جبريل فقال: يا محمّد، إنّك إنْ لم تفعل ما تؤمر به يعذّبك ربّك.

فاصنع لي صاعاً من طعام، واجعل عليه رِجل شاة، واجعل لنا عُسّاً من لبن، ثم اجمع لي بني عبدالمطّلب حتى أكلّمهم وأبلّغ ما أمرت به.

ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه: أبو طالب وحمزة والعبّاس وأبو لهب، فلمّا وضعته تناول النبي جذب حزبة من اللحم، فشقّها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة ثم قال: كلوا بسم الله.

فأكل القوم حتى نهلوا عنه، ما نرى إلّا آثار أصابعهم، والله إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل مثل ما قدّمت لجميعهم.

ثم قال: إسقِ القوم يا عليّ، فجئتهم بذلك العسّ، فشربوا منه حتّى

رووا جميعاً، وأيم اللّٰه إن كان الرجل منه ليشرب مثله.

فلمّا أراد النبيّ أن يكلّمهم بَدَرَه أبو لهب إلى الكلام فقال: لقد سحركم صاحبكم. فتفرّق القوم، ولم يكلّمهم النبيّ.

فلمّا كان الغد فقال: يا علي، إنّ هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول، فتفرّق القوم قبل أنْ أكلّمهم، فعد لنا مثل الذي صنعت بالأمس من الطعام والشراب، ثم اجمعهم لي.

ففعلت ثم جمعتهم. ثم دعاني بالطعام فقرّبته ففعل به كما فعل بالأمس، فأكلوا وشربوا حتى نهلوا، ثم تكلّم النبيّ فقال:

يا بني عبدالمطّلب، إنّي ـ واللّٰه ـ ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ما جئتكم به، إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني اللّٰه أنْ أدعوكم إليه، فأيّكم يؤازرني على أمري هذا؟

فقلت ـ وأنا أحدثهم سنّاً، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً ـ أنا يا نبيّ اللّٰه، أكون وزيرك عليه.

فأخذ برقبتي فقال: إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا.

فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع وتطيع لِعَليّ.

ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبو نعيم والبيهقي معاً في الدلائل»[١].

في هذه الرواية دلالة على:

١ ـ إنّ عليّاً عليه السلام ـ على صغر سنّه ـ كان في أعلى درجات الوعي والنضج، ولا يقاس به أحدٌ من الّذين أسلموا من بعده....

٢ ـ إنّ عليّاً عليه السلام هو الذي صنع الطعام ـ بأمر النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ـ وهو الذي دعا القوم وأطعمهم وسقاهم....

٣ ـ إنّ عليّاً عليه السلام أخو النبيّ ووصيّه وخليفته في المسلمين.. وإنّه يجب إطاعته والتسليم له عليهم جميعاً.. منذ ذلك الحين....

ولهذه الأُمور ـ لا غير ـ يشكّك بعض القوم في صحّة الخبر.. كابن كثير!.. وينكر ابن تيميّة وجوده في الصحاح والمسانيد بالرغم من وجوده في مسند أحمد!.. ويحذفه محمد حسين هيكل من كتابه في الطبعة الثانية بعد أنْ أثبته في الأُولى!.. ويستهين به مؤلّفنا في كتابه الذي ألّفه أداءً لحقّ المرتضى!!....

---

(١) كنز العمّال ١٣ / ١٣١ ـ ١٣٣.

[٥] بين عليّ وأبي طالب

وهذا عنوان يقصد به الغضّ من أمير المؤمنين عليه السّلام، وقد جاء في الصفحة ٣٠ تحت هذا العنوان ما نصّه:

«قال ابن إسحاق: وذكر بعض أهل العلم أنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكّة، وخرج معه عليّ بن أبي طالب مستخفياً من أبيه أبي طالب...».

أقول:

أوّلاً: كيف ينقل هذا عن ابن إسحاق، ويعتمد عليه، ولا ينقل عنه ـ ولا عن غيره ـ قصّة يوم الإنذار؟!

وثانياً: كيف يعتمد على مثل هذا الخبر المنقول عن «بعض أهل العلم» ولم يعلم من هو؟! بل يعتمد على تكلّم ابن كثير في بعض رواة حديث يوم الإنذار مع وروده في مسند أحمد، ومع تصحيح الطبري وغيره له؟!

وثالثاً: لقد تقدّم عن عدّة من المصادر القديمة أن أبا طالب عليه السّلام كان يأمر أمير المؤمنين بملازمة النبيّ صلّى الله عليه وآله ومتابعته، وكذا ولده جعفر رضي الله عنه، بل بني هاشم وعبدالمطّلب أجمعين.

وجاء في المصادر المعتبرة عند أهل السنّة ما نصّه:

لمّا حضرت أبا طالب الوفاة جمع إليه وجوه قريش فأوصاهم فقال عليه السلام: «يا معشر قريش، أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب، فيكم السيد المطاع، وفيكم المقدام الشجاع الواسع الباع، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلا أحرزتموه، ولا شرفاً إلا أدركتموه، فلكم بذلك على الناس فضيلة، ولهم به إليكم الوسيلة، والناس لكم حرب، وعلى حربكم إلب، وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنيّة (يعني الكعبة) فإن فيها لمرضاة للربّ، وقواماً للمعاش وثباتاً للوطاة، صلوا أرحامكم ولا تقطعوها، فإن صلة الرحم منسأة في الأجل وزيادة في العدد، واتركوا البغي والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم، أجيبوا الداعي وأعطوا الطائل، فإن فيهما شرف الحياة والمماة، وعليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة، فإن فيها محبة في الخاص ومكرمة في العام.

وإني أوصيكم بمحمّد خيراً فإنه الأمين في قريش، والصِّدِّيقُ في العرب، وهو الجامع لكلّ ما أوصيتكم به، وقد جاءنا بأمر قبله الجَنان، وأنكره اللّسان مخافة الشنآن.

وَايْمُ اللّه، كأني أنظر إلى صعاليك قريش وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته، وصدّقوا كلمته، وعظّموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت، وصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً، ودورها خراباً، وضعفاؤها أرباباً، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه،

وأبعدهم منه أحظاهم عنده، قد محضته العرب ودادها، وأصفت له فؤادها، وأعطته قيادها، دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم، كونوا له ولاة ولحزبه حماة، والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد، ولو كان لنفسي مدّة وفي أجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز، ولدافعت عنه الدواهي»[1].



(١) الروض الأنف ١ / ٢٥٩، المواهب اللدنيّة بالمنح المحمدية ١ / ٧٢، السيرة الحلبيّة ١ / ٣٧٥ وغيرها.



الفصل الثاني

عليّ في المدينة

[٦]المؤاخاة

جاء في الكتاب، الصفحة ٣٩، تحت هذا العنوان ما نصّه:

«جاء في الطبقات الكبرى لابن سعد: آخى رسول الله صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم بين عليّ بن أبي طالب وسهل بن حنيف.

وقال ابن كثير: آخى النبيّ صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم بينه وبين سهل بن حنيف. وذكر ابن إسحاق وغيره من أهل السير والمغازي أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم آخى بينه وبين نفسه، وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة لا يصحّ شيء منها لضعف أسانيدها وركّة بعض متونها».

أقول:

أوّلاً: إنّ من يقرأ هذا النصّ المنقول عن ابن كثير، ابتداءً بكلمة «آخى النبي» وانتهاء بكلمة «متونها» ثم ينظر إلى وضع رقم الهامش على كلمة «متونها» والإرجاع في الهامش إلى البداية والنهاية ٣/٢٢٦_٢٢٧، لا يفهم إلّا كون هذا الكلام لابن كثير....

إلّا أنّا لمّا راجعنا الجزء والصفحة المذكورتين، وجدنا عنوان ابن كثير هكذا: «فصل في مؤاخاة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بين المهاجرين والأنصار» ولم نجد فيه هذا النصّ المذكور في كتاب المؤلّف!!... ومن شاء فليراجع....

وثانياً: إذا كان قد «ذكر ابن إسحاق وغيره من أهل السير والمغازي أنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم آخى بينه وبين نفسه» فلماذا لم تذكر عبارة ابن إسحاق ولم تعتمد على نقله، وأنت معتمد عليه في الموارد الأُخرى حتّى مع الجهل برواة الخبر عنده؟!

وثالثاً: إنّ أُخوّة أمير المؤمنين عليه السّلام للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ثابتة قبل يوم المؤاخاة، ففي أخبار حديث يوم الإنذار: أنّ النبيّ جعله أخاً له....

ومن ذلك ما أخرجه أحمد في «المسند» بسندٍ صحيح، فقد رواه

عن عفّان، ثنا أبو عوانة، عن عثمان بن المغيرة، عن أبي صادق، عن ربيعة بن ناجذ، عن علي رضي الله عنه، قال: جمع رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ـ أو: دعا رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ـ بني عبدالمطلّب، فيهم رهط كلّهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق.

قال: فصنع لهم مُدّاً من طعام، فأكلوا حتى شبعوا. قال: وبقي الطعام كما هو كأنّه لم يُمسّ، ثم دعا بغمر فشربوا حتى رووا، وبقي الشراب كأنّه لم يُمسّ أو لم يُشرب. فقال: يا بني عبدالمطّلب، إنّي بُعثت إليكم خاصةً وإلى الناس بعامة، وقد رأيتم من هذه الآية ما رأيتم، فأيّكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي؟ قال: فلم يقم إليه أحد، قال: فقمت إليه وكنت أصغر القوم. قال: فقال: إجلس. قال ثلاث مرّات، كلّ ذلك أقوم إليه فيقول لي: إجلس، حتّى كان في الثالثة ضرب بيده على يدي»[1].

وحديث المؤاخاة رواه المحدّثون وأرباب السير، فمن رواته من المحدثين: أحمد بن حنبل والترمذي والحاكم والبغوي والطبراني وابن عساكر وغيرهم، قال الزرقاني المالكي: «جاءت أحاديث كثيرة في مؤاخاة النبي لعلي، وقد روى الترمذي وحسّنه والحاكم وصحّحه عن ابن عمر: إنه صلّى الله عليه [وآله] وسلّم قال لعلي: أما ترضى أن أكون

(١) مسند أحمد ١ / ١٥٩.

أخاك؟ قال: بلى. قال: أنت أخي في الدنيا والآخرة»[١].

ثم إنّ الحافظ ابن حجر قال بشرح صحيح البخاري: «قال ابن عبدالبر: كانت المؤاخاة مرّتين، مرّة بين المهاجرين خاصّة وذلك بمكة، ومرّةً بين المهاجرين والأنصار» ثم ذكر بعض الأحاديث[٢].

ولو أردنا إيراد نصوص المؤاخاة كما في المصادر القديمة المعتبرة، لطال بنا المقام، وبما ذكرناه كفاية.

وقال الحافظ ابن عبدالبر: «روينا من وجوه عن علي أنه كان يقول: أنا عبدالله وأخو رسول الله، لا يقولها أحد غيري إلّا كذّاب»[٣].

[٧] زواج عليّ فاطمة

قال في الصفحة ٣٩:

«وفي السنة الثانية من الهجرة زوّج رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم بنته فاطمة عليّاً كرّم الله وجهه، وقال رسول الله صلّى الله

---

(١) شرح المواهب اللدنية ١ / ٢٧٣. وأنظر: صحيح الترمذي ٥ / ٥٩٥ والمستدرك على الصحيحين ٣ / ١٤ وكنز العمال ١١ / ٦١٠ و ١٣ / ١٠٥.

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ٧ / ٢١٧.

(٣) الاستيعاب ٣ / ١٠٩٩.

عليه [وآله] وسلّم لفاطمة: قد أنكحتك أحبّ أهل بيتي إليّ، ودعا لها، ونضح عليها من الماء».

أقول:

نَقل هذا عن «إزالة الخفاء»: ٢٥٤، وهذا الكتاب من تأليف الشيخ وليّ الله الدهلوي ـ المتوفّى سنة ١١٧٦ ـ ولست أدري لماذا لم ينقل عن الكتب القديمة الموثوق بها كما قال؟!

فقد ورد في المصادر القديمة المعتبرة عندهم أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم قال لها حين زوّجها منه:

«زوّجتك خير أُمتي، أعلمهم علماً، وأفضلهم حلماً، وأوّلهم سلماً»[1].

وفي زواجها من علي عليهم السّلام أمورٌ نشير إلى بعضها:

الأوّل: إنّ هذا الزواج كان بأمرٍ من الله، وقد روى ذلك جماعة كبيرة من أئمة الحديث من أهل السنّة كالطبراني وعنه الحافظ وقال:

---

(١) مسند أحمد ٥ / ٢٦، مجمع الزوائد ٩ / ١٠١ و ١١٤، الاستيعاب ٣ / ١٠٩٩، الرياض النضرة في مناقب العشرة ٢ / ١٩٤.

رجاله ثقات[١]. ورواه: البيهقي والخطيب البغدادي وابن عساكر والحاكم وغيرهم.

والثاني: إنه قد خطبها من قبل أبو بكر وعمر، فردّهما رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله قائلاً: «لم ينزل القضاء بعدُ»[٢].

والثالث: إنه قد نبّه عليّاً على خطبتها بعض الأنصار، ولمّا حضر عند النبيّ صلى اللّه عليه وآله قال له: مرحباً وأهلاً... وهذا ما رواه عدّة كبيرة من الأعلام منهم: ابن سعد صاحب الطبقات حيث روى عن بريدة: «قال نفر من الأنصار لعلي: عليك بفاطمة. فأتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم، فسلّم عليه. فقال: ما حاجة ابن أبي طالب؟ قال: ذكرت فاطمة بنت رسول اللّه. قال: مرحباً وأهلاً. لم يزده عليهما. فخرج على أولئك الرهط من الأنصار ينظرونه، قالوا: ما ورائك؟ قال: ما أدري، غير أنه قال لي: مرحباً وأهلاً. قالوا: يكفيك من رسول اللّه احداهما، أعطاك الأهل والمرحب...»[٣].

(١) مجمع الزوائد ٩ / ٢٠٤.

(٢) الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشّرة ٢ / ١٨٣ وغيره.

(٣) الطبقات الكبرى ٨ / ١٢.

[٨] إغفال المؤلّف مواقف الإمام في الحروب

هذا... ولا يخفى على من يطالع كتاب المؤلّف جناياته على أحاديث فضائل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام المرويّة في المصادر القديمة المعتبرة عند القوم، فهو بالإضافة إلى عدم ذكره كثيراً من مواقف الإمام عليه السّلام، وإلى جنايته على حديث يوم الإنذار، وحديث المؤاخاة كما عرفت.

أغفل ذكر ما قاله النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في حقّه يوم الخندق(١).

ولم يذكر حديث الراية يوم خيبر بصورة كاملة(٢).

وكذا حديث المنزلة الذي قاله النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في مواضع منها لدى خروجه إلى تبوك(٣).

[٩] تعرّضه لخبر الغدير وليته لم يتعرّض!

ولم يأت من خبر «حجّة الوداع وخطبة غدير خم» بشيء حيث

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣ / ٣٢، كنز العمّال ١١ / ٦٢٣، تاريخ مدينة دمشق ٥٠ / ٣٣٣.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣ / ٣٨، عمدة القاري ١٤ / ٢١٤، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ / ١٠٨.

(٣) مجمع الزوائد ٩ / ١٠٩، مسند أحمد ١ / ١٧٣، صحيح مسلم ٧ / ١٢٠.

عنون ذلك، إلّا أنّه قال: «فلما وصل إلى غدير خمّ خطب وذكر فيها فضل عليّ رضي الله عنه وقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ من والاه، وعاد من عاداه»!!

ثم إنّه أضاف بالنسبة إلى حديث «من كنت مولاه». قائلاً:

«وكان سبب ذلك أنّ بعض الناس كانوا قد اشتكوا عليّاً وعتبوا عليه، وتكلّم فيه بعض من كان معه بأرض اليمن، بسبب ما كان صدر منه إليهم من المعدلة التي ظنّها بعضهم جوراً وتضييقاً وبخلاً، والصّواب كان مع عليٍّ في ذلك».

أقول:

وهذا نفس ما يتقوّل به النواصب في هذا المقام!!

غير إنّ المؤلّف تفضّل!! فقال: «والصّواب كان مع عليٍّ في ذلك» ليوهم أنّه ليس منهم!!

وعلى كلّ حالٍ، فقد اضطرب المخالفون لأمير المؤمنين والمنكرون فضائله ومناقبه الصريحة في أفضليّته والدالّة على خلافته بعد النبي بلا فصل... تجاه ما ورد من ذلك في كتب السّنّة....

وفي خصوص حديث الغدير... تجد بعضهم يقدح في سنده.

وآخر يسلّم السند ويقدح في الدلالة.

وثالث يرى أن لا جدوى في شيء من ذلك، فينكر وجود عليٍّ مع النبيّ في حجّة الوداع.

ورابع لَمّا وجد الحديث متواتراً ودلالته ثابتةً وأنّ وجود عليٍّ في الغدير لا ينكر.. عَمَدَ إلى دعوى أن الحديث وارد في قضيّةٍ خاصّة ومناسبة معيّنة، فاضطربوا هذه المرّة في تحديد تلك القضيّة والمناسبة:

فبعضهم قال: إنّ قوماً نقموا على عليٍّ بعض أُموره....

وبعضهم قال: إنّه وقع بينه وبين أُسامة بن زيد كلام....

وبعضهم قال: إنّه وقع بينه وبين زيد بن حارثة، وهذا معناه ورود الحديث قبل حجّة الوداع بزمانٍ طويل....

فلينظر المنصف!! كيف يسعى أعداء الحق وراء إنكاره ولو بارتكاب المستحيل!!

لقد كان على المؤلّف ـ الذي التزم بالنقل عن الكتب الموثوق بها المعتمدة!! وتصدّي لأن يكتب عن حسن نيّة! سيرة شخصيّةٍ مظلومةٍ ـ أن يبذل جهداً ولو قليلاً فيبحث عن واقع القضيّة أو يترك قوله: «وكان سبب ذلك...» أو ينقل ـ في الأقلّ ـ ما جاء في سيرة ابن هشام التي أكثر من النقل عنها والإرجاع إليها، فإنّ الذي جاء فيها هكذا:

«قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبدالله بن عبدالرحمن بن

أبي عمرة، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة، قال: لمّا أقبل عليٌّ رضي الله عنه من اليمن ليلقى رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم بمكّة، تعجّل إلى رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه، فعمد ذلك الرجل فكسى كلّ رجلٍ من القوم حلّة من البزّ الذي كان مع عليٍّ رضي الله عنه، فلمّا دنا جيشه خرج ليلقاهم فإذا عليهم الحلل، قال: ويلك! ما هذا؟! قال: كسوت القوم ليتجمّلوا به إذا قدموا في الناس، قال: ويلك! انزع قبل أن تنتهي به إلى رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، قال: فانتزع الحلل من الناس، فردّها في البزّ. قال: وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدالله بن عبدالرحمن بن معمر بن حزم، عن سليمان بن محمّد بن كعب بن عجرة، عن عمّته زينب بنت كعب ـ وكانت عند أبي سعيد الخدري ـ عن أبي سعيد الخدري، قال: اشتكى الناس عليّاً رضي الله عنه، فقام رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم فينا خطيباً، فسمعته يقول: لا تشكوا عليّاً، فوالله إنّه لأخشن في ذات الله. أو: في سبيل الله»[1].

فهذا هو الذي قاله رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ / ٦٠٣.

المناسبة التي أشار إليها المؤلّف، حسب ما في سيرة ابن هشام، الذي هو من أهمّ مصادره... لا حديث الغدير...

إنّه لا ارتباط بين حديث الغدير وما يذكره القوم أبداً، إنّ حديث الغدير كان بأمرٍ من الله سبحانه للرّسول الأعظم صلّى الله عليه وآله ـ لمّا خرج من منى متوجّهاً إلى المدينة ـ إذ جاءه الخطاب: ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1].

فقد أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري قال: «نزلت هذه الآية: ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ على رسول الله يوم غدير خم في علي بن أبي طالب»[2].

ومن هنا، فقد رووا عن عبدالله بن مسعود أنه قال: «كنّا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم: ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ (أن علياً مولى المؤمنين) وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[3].

وللتفصيل في خبر الغدير يراجع الكتب المفصّلة[4].

---

(١) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(٢ و ٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٢ / ٢٩٨.

(٤) راجع كتاب: نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار الأجزاء ٦ ـ ٩.

على أنّا لو سلّمنا صدور حديث الغدير من النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، بسبب شيء من القضايا المزعومة، فإنّ الحديث: «ألست أَوْلى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللّهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه» وقد نصَّ غير واحدٍ من محقّقي القوم، كالقاضي عبدالجبّار المعتزلي ـ في مقام الجواب عن الاستدلال بحديث الغدير ـ بأنّ كلّ ذلك لو صحّ وكان الخبر خارجاً عليه، فلم يمنع من التعلّق بظاهره وما يقتضيه لفظه، فيجب أن يكون الكلام في ذلك دون بيان السبب الذي وجوده كعدمه.

قلت: وكيف يكون مانعاً عن التعلّق بظاهره وما يقتضيه لفظه، والحال أنّ كبار الصحابة لم يعبأوا بالسبب، وفهموا من الحديث ما هو ظاهر فيه، فقال أبو بكر وعمر لعليّ: «بخ بخ...»[١] وقال حسان بن ثابت في معناه قصيدته المشهورة[٢]، واغتاظ بعضهم من مدلوله وسأل بعذابٍ واقع للكافرين ليس له دافع...[٣][٤].

فلو كان كلام النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في مناسبة خاصّة

---

(١) الأمالي للصدوق: ٥٠، الموطأ ٢ / ٩٩٢، رقم ٢٤، شواهد التنزيل ١ / ٢٠١، رقم ٢١٠.

(٢) الفصول المختارة: ٢٩٠، المناقب للخوارزمي: ١٣٦.

(٣) سورة المعارج: الآية ٢.

(٤) نظم درر السمطين: ٩٣، شواهد التنزيل ٢ / ٣٨١.

وبسببٍ معيّن وخطاباً لشخصٍ أو أشخاصٍ فقط... لَما كان ذلك كلّه.

هذا موجز البيان في هذا المقام... والتفصيل موكول إلى محلّه.

[١٠] وفاة الرسول

وهذا آخر عنوان عناوين الفصل الثاني من كتابه، وقد تطرّق هنا إلى صلاة أبي بكر، وزعم أنّها «كانت بأمرٍ من النبيّ، وأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم خرج وجلس إلى جنب أبي بكر، فجعل أبو بكر يصلّي قائماً ورسول الله يصلّي قاعداً»!!

أقول:

قد حقّقتُ في رسالة مستقلّةٍ أنّ صلاة أبي بكر لم تكن بأمرٍ منه صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأنّه خرج ونحّاه عن المحراب وصلّى بالمسلمين بنفسه.

ثمّ إنّه لم يتعرّض هنا لخبر سرية أسامة، وأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أبقى عنده عليّاً وأمر بخروج غيره ـ وفيهم المشايخ ـ مع أسامة!

وإن كنت في ريبٍ من قولنا هذا، فهذه عبارة الحافظ ابن حجر في شرح البخاري: «وكان ممّن انتدب مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار،

منهم: أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد وسعيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم، فتكلّم في ذلك قوم... ثمّ اشتدّ برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وجعه فقال: أنفذوا بعث أسامة.

وقد روي ذلك عن الواقدي وابن سعد وابن إسحاق وابن الجوزي وابن عساكر»[١].

ثم إن المؤلّف لم يذكر مناجاة النبيّ قبيل وفاته مع عليّ عليه السلام، وأنّه توفّي ورأسه في حجر عليّ!! هذا الخبر الثابت المتّفق عليه بين المسلمين:

قالت أمّ سلمة رضي الله عنها: «والذي أحلف به أنّ عليّ لأقرب الناس عهداً برسول الله... فأكبّ عليه عليٌّ، فجعل يسارّه ويناجيه، ثمّ قبض رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم من يومه ذلك، فكان أقرب الناس به عهداً»[٢].

وقالت عائشة: «قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم وهو في بيتها لمّا حضره الموت: ادعوا لي حبيبي، فدعوت له أبا بكر، فنظر إليه ثمّ وضع رأسه، ثمّ قال: ادعوا حبيبي، فدعوت له عمر، فلمّا نظر إليه

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ٨/ ١٢٤.

(٢) مسند أحمد ٦/ ٣٠٠، المستدرك على الصحيحين ٣/ ١٣٨، ابن عساكر ٣/ ١٦.

وضع رأسه، ثمّ قال: ادعوا لي حبيبي، فقلت، ويلكم ادعوا له عليّاً فوالله ما يريد غيره. فلمّا رآه أخرج الثوب الذي كان عليه ثمّ أدخله معه، فلم يزل محتضنه حتّى قبض ويده عليه»[١].

هذا، ولا يخفى ما اشتمل عليه هذا الخبر من فوائد.

ولم يتعرّض المؤلّف كذلك لتجهيز الرسول صلّى الله عليه وآله ودفنه وهو يتكلّم عن «وفاة الرّسول» بقدر ما يتعلّق بأمير المؤمنين، والمفروض أن الكتاب في سيرته!! وإليك بعض الأحاديث في المقام من أوثق مصادر القوم:

أخرج ابن سعد بسنده عن يزيد بن بلال عن علي قال: «أوصى النبيّ صلى الله عليه [وآله] ألّا يغسله أحد غيري، فإنه لا يرى أحد عورتي إلّا طمست عيناه، قال علي: فكان الفضل وأسامة يناولاني الماء من وراء الستر وهما معصوبا العين، قال علي: فما تناولت عضواً إلا كأنما يقلّبه معي ثلاثون رجلاً»[٢].

وأخرج أحمد بسنده عن ابن عبّاس قال: «لما اجتمع القوم لغسل رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم وليس في البيت إلا أهله، عمّه

---

(١) الرياض النضرة ٢ / ١٨٠، ابن عساكر ٣ / ١٤، ذخائر العقبى: ٧٢.

(٢) الطبقات الكبرى ج ٢ ق ٢ ص ٦١.

العباس بن عبدالمطلب وعلي بن أبي طالب والفضل بن عباس وقثم بن العباس وأسامة بن زيد بن حارثة وصالح ومولاه، فلما اجتمعوا لغسله نادى من وراء الباب أوس بن خولي الأنصاري، ثم أحد بني عوف بن الخزرج -وكان بدرياً- علي بن أبي طالب، فقال له: يا علي نشدتك الله وحظّنا من رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: فقال له علي: أدخل، فدخل فحضر غسل رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ولم يل من غسله شيئاً قال: فأسنده علي عليه السّلام إلى صدره وعليه قميصه، وكان العباس والفضل وقثم يقلّبونه مع علي بن أبي طالب، وكان أسامة بن زيد وصالح مولاهما يصبّان الماء، وجعل علي يغسله ولم ير من رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم شيئاً مما يراه من الميت وهو يقول: بأبي أنت وأمي، ما أطيبك حيّاً وميّتاً، حتى إذا فرغوا من غسل رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم -وكان يغسل بالماء والسّدر- جففوه ثم صنع به ما يصنع بالميت، ثم أدرج في ثلاثة أثواب أبيضين وبرد حبرة، ثم دعا العباس رجلين فقال: ليذهب أحدكما إلى أبي عبيدة بن الجراح -وكان أبو عبيدة يضرح لأهل مكة- وليذهب الآخر إلى أبي طلحة بن سهل الأنصاري -وكان أبو طلحة يلحد لأهل المدينة- قال: ثم قال العباس لهما حين سرّحهما: اللهم خر لرسولك. قال: فذهبا، فلم يجد صاحب أبي عبيدة أبا عبيدة، ووجد صاحب

أبي طلحة أبا طلحة، فجاء به فلحد لرسول اللّه صلى اللّه عليه [وآله] وسلم»[١].

وأخرج أبو نعيم بسنده عن جابر بن عبداللّه وابن عباس، قالا: لمّا نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ...﴾... فقال علي رضي اللّه عنه: يا رسول اللّه، إذا أنت قبضت فمن يغسلك؟ ومن يصلّي عليك؟ ومن يدخلك القبر؟ فقال النبي صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم: يا علي، أمّا الغسل، فاغسلني أنت، وابن عباس يصبّ عليّ الماء وجبريل ثالثكما، فإذا أنتم فرغتم من غسلي فكفّنوني في ثلاثة أثواب جدد وجبريل عليه السّلام يأتيني بحنوط من الجنة، فإذا أنتم وضعتموني على السرير فضعوني في المسجد واخرجوا عني، فإن أوّل من يصلّي عليّ الربّ عزّ وجلّ من فوق عرشه، ثم جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم الملائكة زمراً زمراً، ثم ادخلوا، فقوموا صفوفاً لا يتقدم عليّ أحد....

فقبض رسول اللّه صلى اللّه عليه [وآله] وسلّم، فغسّله علي بن أبي طالب، وابن عباس يصبّ عليه الماء وجبريل عليه السّلام معهما، وكفّن بثلاثة أثواب جدد، وحمل على السّرير، ثم أدخلوه المسجد ووضعوه في المسجد، وخرج الناس عنه، فأوّل من صلّى عليه الربّ من

---

(١) مسند أحمد ١ / ٢٦٠ وسبب عدم وجدانه أبا عبيدة معلوم، فقد كان في السقيفة!

فوق عرشه وتقدّس، ثم جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم الملائكة زمراً زمراً، قال علي: ولقد سمعنا في المسجد همهمة ولم نر لهم شخصاً، فسمعنا هاتفاً يهتف وهو يقول: أدخلوا رحمكم الله فصلّوا على نبيّكم، فدخلنا فقمنا صفوفاً كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم فكبّرنا بتكبير جبريل وصلّينا على رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم بصلاة جبريل، ما تقدم منّا أحد على رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم، ودخل القبر علي بن أبي طالب عليه السّلام...»(١).

وأخرج الهيثمي قال: «وعن ابن عباس: إن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم ثقل وعنده عائشة وحفصة، إذ دخل علي، فلما رآه النبي صلّى الله عليه [وآله] وسلّم رفع رأسه ثم قال: أدن منّي أدن منّي، فأسنده إليه، فلم يزل عنده حتى توفّي، فلما قضى قام علي وأغلق الباب، وجاء العباس ومعه بنو عبدالمطلب فقاموا على الباب، فجعل علي يقول: بأبي أنت وأمي طبت حيّاً وطبت ميّتاً، وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها فقال: إيهاً دع حنيناً كحنين المرأة وأقبلوا على صاحبكم، قال علي: أدخلوا عليّ الفضل بن العباس، فقالت الأنصار: نشدناكم بالله ونصيبنا من رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم، فأدخلوا رجلاً منهم يقال له

(١) حلية الأولياء ٤ / ٧٣.

أوس بن خول يحمل جرّة بإحدى يديه، فسمعوا صوتاً في البيت: ولا تجرّدوا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم واغسلوه كما هو في قميصه، فغسّله علي يدخل يده من تحت القميص، والفضل يمسك الثوب عنه، والأنصاري ينقل الماء، وعلى يد علي خرقة يدخل يده تحت القميص»[1].



(١) مجمع الزوائد ٩ / ٣٦.



الفصل الثالث

سيّدنا عليّ في خلافة أبي بكر

وفي هذا الفصل -الذي يبدأ بالصفحة ٥٩، ويختم بالصفحة ٩٣- ذكر مقدّمة تتعلّق بمصير الديانات الأُخرى وانحرافها عن الصراط المستقيم والطريق الصحيح، حتّى جاء في الصفحة ٦١:

[١١] شروط خلافة النبيّ ومتطلّباتها

فذكر تحت هذا العنوان ستّة أُمور اعتبرها شروط الخلافة عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، نلخصها فيما يلي:

١ - يمتاز بأنّه ظلّ طول حياته بعد الإسلام متمتّعاً بثقة رسول الله به وشهادته له، واستخلافه إيّاه في القيام ببعض أركان الدين.

٢ - يمتاز هذا الفرد بالتماسك والصمود وجه الأعاصير والعواصف.

٣ ـ يمتاز هذا الفرد في فهمه الدقيق للإسلام.

٤ ـ يمتاز بشدّة غيرته على أصالة هذا الدين.

٥ ـ يكون دقيقاً كلّ الدقّة، وحريصاً أشدّ الحرص في تنفيذ رغبات الرسول.

٦ ـ يمتاز بالزهد في متاع الدنيا والتمتّع به.

ثم قال في الصفحة: ٦٢

تحقيق أبي بكر هذه الشروط والمتطلّبات:

فقال:

«وقد اجتمعت هذه الصفات والشروط كلّها في سيّدنا أبي بكر رضي الله عنه...»!!

وقال في الصفحة ٦٣:

«ونتناول مظاهر تحقيق سيّدنا أبي بكر الشروط المذكورة أعلاه بالترتيب...».

فشرع يشرح تحقيق أبي بكر لتلك الشروط... حتّى الصفحة ٧١!

أقول:

أولاً: كلّ هذه الصفحات التي سوّدها المؤلّف أجنبيّة عن «سيرة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب».

وثانياً: البحث عن أنّ الأصل والأساس في خلافة النبيّ صلّى الله

عليه وآله وسلّم ما هو؟ وأنّ الشروط التي يعتبر وجودها في الخليفة ما هي؟ وأنّ الذي كان واجداً لذلك وأهلاً للخلافة من هو؟ والبحوث الأُخرى المتعلّقة بموضوع (الإمامة)... موضعها (علم الكلام) ومرجعها (كتب الإمامة) والمفروض أنّ هذا الكتاب مؤلّف في (سيرة المرتضى)!

وثالثاً: من يراجع كتب أهل السُنّة كـ «المواقف» و«المقاصد» وشروحهما وغيرهما... يجد الشروط المعتبرة عندهم في الخليفة أشياء أُخرى غير هذه التي اخترعها هذا المؤلّف... فهو في كلّ ما أتى به مخالف لما قال به أئمّة مذهبه.

ورابعاً: هذه الشروط ـ التي زعم توفّرها في أبي بكر ـ كانت متوفّرة بصورة أتمّ وأكمل في كثير من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فيكون كلّ واحدٍ منهم أحقّ وأولى منه بالخلافة عن النبيّ.

وخامساً: هذه الشروط ـ التي زعم توفّرها في أبي بكر ـ كانت متوفّرة ـ على هذا الحدّ الذي ادّعاه ـ في عشراتٍ ـ إنْ لم نقل مئات ـ من أصحاب النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، فما الذي قدّمه وفضّله عليهم؟!

ويشهد بما ذكرنا قوله المشهور المتّفق عليه: «أقيلوني، فلست بخيركم»[1].

---

(١) تفسير الألوسي ٢٧ / ١٨٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ / ١٦٨.

وسادساً: إنْ كان يقصد اختصاص أبي بكر ـ دون غيره ـ ببعض الأمور، فلذا قُدّم على غيره، فإنّا لم نجد فيما أورده شيئاً يختصّ بأبي بكر إلّا مسألة الصّلاة في مرض النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، وقد حقّقنا هذه المسألة من قبل في رسالة خاصّة مطبوعة، وتوصّلنا ـ على ضوء أحاديث الصحاح والمسانيد المعتبرة عند القوم ـ إلى أنْ لا أساس لذلك من الصحّة... ومن شاء فليرجع إلى تلك الرسالة[1].

وسابعاً: إنّه قد أثبت علماؤنا أنّ الإمامة بالنصّ من الله ورسوله، ولا ينصب الله ورسوله إلّا من هو أفضل الناس بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله، وأنّه ليس إلّا أمير المؤمنين المرتضى عليه الصّلاة والسلام، وستأتي الإشارة إلى ذلك.

قال في الصفحة ٧١:

[١٢] الأمر الشورى في الإسلام وخلافة أبي بكر

وتحت هذا العنوان ذكر أنّ الحكومة والسيطرة كانت في الأُمم والأديان السالفة وراثيّة وقد قضى الإسلام على ذلك.

ولا أعلم لهذا المطلب علاقة بـ(المرتضى أمير المؤمنين) إلّا

(١) أنظر: كتاب «صلاة أبي بكر في مرض النبي صلى الله عليه وآله».

دعوى أنّ القول بإمامته بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم مبنيٌ على أساس الوراثة، وأنّه لا دليل على هذا القول، ويشهد بهذا قوله في الصفحة ٧٣:

«وقد قضى الإسلام على هذين الاحتكارين الوراثيين اللذين جنيا على الإنسانية جناية تجلّت شواهدها ومظاهرها في تاريخ روما وإيران والهند، وترك الأمر إلى المسلمين وإلى أهل الشورى وأهل العلم والإخلاص في اختيار الخليفة، ولذلك لم يصرّح رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم بشيءٍ في شأن من يكون خليفته بعده وولّيَ أمر المسلمين، فإن كان ذلك فريضةً من فرائض الدين وكان لابدّ من التصريح به، لَنَفَذه رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم وصرّح به... يقول الأستاذ العقّاد معلّقاً على حديث القرطاس: أمّا القول بأنّ عمر هو الذي حال بين النبيّ عليه السلام والتوصية باختيار عليٍّ للخلافة بعده، فهو قول من السخف...».

أقول:

أولاً: ليست إمامة عليٍّ وأولاده بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم من باب الوراثة وحصر الخلافة في الأسرة الهاشمية، فإن كان الغرض من هذا الكلام نسبة هذا الاعتقاد إلى شيعة أهل البيت عليهم السلام، فهو كذب وافتراء.

وثانياً: تعتقد الشيعة أنّ جميع ما قاله النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم أو فَعَلَه كان بأمر من اللّه سبحانه، ولكنّ المنافقين يجوّزون عليه «الهجر»!!

وثالثاً: وتعتقد أن نصب الإمام بعد النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم بيد اللّه وليس باختيارٍ من الخلق، وأنّ النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم صرّح بأشياء ـ لا بشيءٍ ـ في شأن من يكون خليفته بعده، والتفصيل موكول إلى محلّه في الكتب الكلامية، ونكتفي هنا بالقول: بأنّ في كلّ ما قاله في حقّ عليٍّ ـ منذ يوم الإنذار إلى يوم الغدير ـ دلالة على خلافته من بعده بأمرٍ من اللّه عزّ وجلّ.

ورابعاً: لقد ثبت في محلّه أنّ عمر هو الذي حال دون وصيّة النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم بقوله: «حسبنا كتاب اللّه» و«إنّ الرجل ليهجر».. وهذا ما تؤكّده «المصادر القديمة الموثوق بها» كما وصفها المؤلّف، ولذا لم ينقل عنها شيئاً في الباب، والتجأ إلى نقل كلام زميله في العناد، عبّاس محمود العقّاد.

قال في الصفحة ٧٦:

[١٣] مبايعة أبي بكر

«وقف المسلمون في المدينة على مفترق طرق: إمّا اتّفاق الكلمة،

وإمّا تنازع واختلاف، وقد زاد الأمر تعقّداً حدوث هذا الحادث في المدينة التي كانت موطن قبيلتين عظيمتين من قحطان وهم الأوس والخزرج... فلم يكن غريباً ولا غير طبيعي أن يروا لهم حقّاً في خلافة النبيّ المكّي المهاجر. وقد فطن لهذه العقدة النفسية والمحنة عمر بن الخطّاب، فاستعجل الأمر، وقد علم أنّ الأنصار يستشرفون إلى أن يكون منهم الخليفة، فجمع المسلمين في سقيفة بني ساعدة، فقام ودعا إلى بيعة أبي بكر، فبايع الناس أبا بكر، ثم كانت البيعة العامة من غدٍ بعد بيعة السقيفة في المسجد النبوي، ولم تكن مبايعة أبي بكر مصادفة من المصادفات التي قد يحالفها التوفيق، ومؤامرة من المؤامرات التي قد تُكلّل بالنجاح، وقد أجاد الكاتب الإسلامي الشهير (في الإنجليزية) السيّد أمير علي التعبير عن هذه الحقيقة التاريخية، إذ قال...».

أقول:

أوّلاً: كلّ هذه الأمور لا علاقة لها بموضوع الكتاب.

وثانياً: لماذا وقفوا على مفترق طرق؟ هل تركهم رسول الله سدى فكانوا حيارى لا يهتدون الطريق؟ إن قلتم: نعم، فقد نسبتم النبي صلّى الله عليه وآله إلى التقصير، ونستعيذ بالله من هذه النسبة، لقد بين لهم الطريق وعرّفهم الإمام الحق وبايعوه في غدير خم واتفقت كلمتهم عليه، فما عدا ممّا بدا؟

وثالثاً: إنّه لم ينقل هنا شيئاً عن المصادر القديمة الموثوق بها!! وإنّما ذكر كلاماً للكاتب الإسلامي الشهير في الإنجليزية...!!

ورابعاً: لم يتم أمر البيعة لأبي بكر بهذه البساطة والسذاجة، فأحداث السقيفة، وأحداث دار عليٍّ والزهراء عليهما السلام مثبتة في التاريخ، ومذكورة في محلّها من الكتب المفصّلة.

وخامساً: لم يجمع المسلمين في سقيفة بني ساعدة ولم يجتمعوا، بل كان هناك ثلة من الأنصار وثلاثة من المهاجرين وهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ابن الجرّاح، فقوله: «فجمع المسلمين...» خلاف الواقع والحقيقة.

وسادساً: قول عمر بن الخطّاب: «كانت بيعة أبي بكر فلتةً وقى الله شرّها، ألا ومن عاد إلى مثلها فاقتلوه» ثابت مشهور بين المسلمين... وهو يفيد أنّ بيعته كانت مصادفةً من المصادفات إن لم تكن مؤامرةً من المؤامرات....

قال في الصفحة ٨١:

[١٤] الحكمة في تأخير خلافة سيدنا عليّ

«وكان من تقدير العزيز العليم أنّه لم يخلف رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم في ولاية أمر المسلمين ولم يتولّ خلافته على أثر

وفاته، أحد من أهل بيته وأبناء الأسرة الهاشمية مباشرة... فما بقيت القضية قضية أسرية وقضيّة محسوبيّة وعصبيّة...».

أقول:

حال خلافة سيّدنا أمير المؤمنين عليه السّلام عن النبيّ، حال خلافة هارون عن موسى، فهارون كان أخاً لموسى وقد جعله خليفةً له بأمر من الله، قال تعالى ﴿**وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ**﴾[1] وعليٌّ عليه السّلام كان أخاً لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بنصّ منه يوم الإنذار وغيره، وقد جعله خليفةً من بعده بأمرٍ من الله، كما في حديث يوم الإنذار كذلك وغيره من الأحاديث في المواقف المختلفة، وقد قال له: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى....

وكما أنّ قوم موسى اتّبعوا السامريّ واتّخذوا العجل من بعده وتركوا هارون... كذلك قوم محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، وكما أنّ موسى قال لهارون: ﴿**وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ كذلك النبي قال لعليّ وأوصاه بأنْ لا يتّبع سبيل المفسدين....

فإذا كان إعراض قوم موسى عن هارون وضلالتهم... من تقدير

(١) سورة الأعراف: الآية ١٤٢.

العزيز العليم... فكذلك إعراض هذه الأُمّة عن عليّ وانقلابهم على أعقابهم... من تقدير العزيز العليم!!

قال في الصفحة ٨١:

[١٥] المحنة الأُولى لأبي بكر وموقفه الصارم فيها

«وقد ثبت واتّفق عليه المحدّثون وأصحاب السيرة أنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم قال: إنّا معشر الأنبياء لا نورّث، ما تركنا صدقة. وجاءت محنة دقيقة تمتحن صرامة أبي بكر، وتفصيل القصّة هو ما رواه البخاري بسنده عن عائشة. قالت: إنّ فاطمة والعبّاس أتيا أبا بكر رضي الله عنه يلتمسان ميراثهما... وظلّ أبو بكر على ما اعتقده ودان به وعزم على تنفيذ وصيّة رسول الله، وظلّت السيّدة فاطمة عليها السّلام على مطالبتها، وهي إمّا لم يبلغها ما عرفه الصدّيق، وإمّا رأت متّسعاً أو مبرّراً لخليفة رسول الله لتحقيق ما أرادته وإجابة ما طلبته، وكلٌّ مجتهد في ذلك وله العذر والثواب.

وقد جاء في مسند الإمام أحمد بن حنبل أنّ السيّدة فاطمة قالت: فأنت وما سمعت من رسول الله أعلم.

وعاشت فاطمة بعد وفاة رسول الله ستّة أشهر وهي واجدة على ذلك مهاجرة لأبي بكر حتّى توفّيت. ويقع مثل هذا كثيراً في حياة

العشائر والجماعات، ومما تقتضيه الطبيعة البشرية، وما جُبلت عليه من العاطفية والحساسيّة والاقتناع بما عرفه الإنسان ودان به.

ولكنْ لم يكن اختلافها في هذا الأمر موجدتها[1] على أبي بكر متخطّيةً للحدود الشرعية، مخالفة لما جُبلت عليه من كرم النفس وعلوّ النظر والسماحة، فقد روي عن عامر أنّه قال: جاء أبو بكر إلى فاطمة وقد اشتدّ مرضها فاستأذن عليها فقال لها عليّ: هذا أبو بكر على الباب يستأذن، فإنْ شئت أن تأذني له.

قالت: أوَذاك أحبّ إليك؟ قال: نعم. فدخل فاعتذر إليها وكلّمها فرضيت عنه.

ولنختم هذا البحث بما قاله الأستاذ العقّاد...».

أقول:

ليس ما ذكره تفصيل القصّة، وكيف يكون تفصيلها في صفحة وقد ألّفت الكتب فيها منذ القرون الاولى؟ إنّ أسلوب المؤلّف يضطرّنا إلى شرح المهمّ من أخبار القضيّة بالإستناد إلى الأحاديث الصحيحة في الكتب الموثوق بها عند أهل السنّة:

لقد ذكرت فاطمة عليها السّلام أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله

---

(١) كذا.

وهبها فدكاً، فقال أبو بكر: هاتِ أسود أو أحمر ليشهد لك بذلك، فجاءت بأُمّ أيمن فشهدت لها بذلك، فقال: إمرأة، لا يُقبل قولها. فجاء أمير المؤمنين عليه السلام فشهد لها، فقال: هذا بعلك يجرّه إلى نفسه ولا نحكم بشهادته لك.

وإذ لم يسمع أبو بكر قولها وكذّب شهودها، جاءت مرّةً أُخرى فطالبت بفدك من باب الإرث كما سيأتي.

أمّا أنه صلّى الله عليه وآله وقد وهبها فدكاً، فقد رواه أكابر أهل السنّة، قالوا: لمّا نزلت الآية المباركة ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ «أنحل فاطمة فدكاً»[1]. ومن رواة الخبر:

أبو بكر البزّار المتوفى سنة ٢٩١ وأبو يعلى الموصلي المتوفى سنة ٣٠٧ وابن أبي حاتم الرازي المتوفى سنة ٣٢٧ وابن مردويه المتوفى سنة ٤٠١ والحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ والطبراني المتوفى سنة ٣٦٠ وابن النجّار المتوفى سنة ٦٤٣ والذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ والهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧، والسيوطي المتوفى سنة ٩١١ والمتقي المتوفى سنة ٩٧٥ وغيرهم.

فكانت فدك في يد الزهراء عليها السلام وفي ملكها على حياة

---

(١) أنظر: الدر المنثور ٤ / ١٧٧، شواهد التنزيل ١ / ٤٣٩.

رسول الله صلّى الله عليه وآله، ولقد كانت الهبة في البيت ولذا قلّ عدد الشهود، لكنّ أمّ أيمن من أهل الجنّة، فقد قال رسول الله: «من سرّه أنْ يتزوّج امرأة من أهل الجنة فليتزوّج أمّ أيمن. فتزوّجها زيد بن حارثة، فولدت له أسامة بن زيد»[1].

وكذلك أمير المؤمنين عليه الصّلاة والسّلام. مضافاً إلى أنّ النبي صلّى الله عليه وآله قال في حقّه: «علي مع الحق والحق مع علي» هذا الحديث المقطوع به لدى كافّة المسلمين، المرويّ عن عدّة من الصحابة وقد أخرجه الترمذي والحاكم وأبو يعلى والبزّار والطبراني والخطيب وابن عساكر وغيرهم[2]، وصحّحه غير واحد منهم كالحاكم في المستدرك والذهبي في تلخيصه.

وقد ورد خبر مطالبتها هبةً وشهادة أمير المؤمنين وأم أيمن في كافّة الكتب[3].

وإذا كان أبو بكر لا يصدّقها في الهبة، فالأرض باقيةٌ على ملك

---

(١) الطبقات الكبرى ٨ / ٢٢٤، الإصابة ٤ / ٤٣٣.

(٢) صحيح الترمذي ٥ / ٥٩٢، المستدرك على الصحيحين ٣ / ١١٩ و ١٢٤، مجمع الزوائد ٧ / ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٩ / ١٣٤، تاريخ بغداد ١٤ / ٣٢١، تاريخ مدينة دمشق: ٤٢ / ٤٤٩.

(٣) أنظر: تفسير الرازي ٢٩ / ٢٨٤، الصواعق المحرقة: ٢١، السيرة الحلبيّة ٣ / ٤٨٦، وفاء الوفا ٣ / ٩٩٥.

رسول الله، لأنّها ممّا لم يوجف عليها بخيلٍ ولا ركاب، والزهراء الوارثة الوحيدة، فجاءت وطالبت بفدك إرثاً، فأجاب أبو بكر ـ فيما يروون ـ بأن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: إنّا معاشر الأنبيا لا نورث ما تركنا صدقة».

لكنّ هذا ليس من كلام النبي، لأنّه لا يقول ما يخالف القرآن، وقد جاء في كلام الله عزّ وجلّ ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾(١) وعن زكريّا قوله: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾(٢).

وقد قالت الزهراء عليها السلام لأبي بكر: «أنت ورثت رسول الله أمْ أهله؟ قال: بل أهله»(٣).

وفي السيرة الحلبيّة قالت له: «أفي كتاب الله أن ترثك ابنتك ولا أرث أبي؟...»(٤).

ثم إنّ ما ذكره أبو بكر عن رسول الله لم يسمعه أحدٌ منه، وإنّما انفرد به أبو بكر كما نصّ على ذلك كبار الحفّاظ والمحدّثين من أهل

(١) سورة النمل: الآية ١٦.

(٢) سورة مريم: الآية ٦.

(٣) مسند أحمد ١ / ٤.

(٤) السيرة الحلبيّة ٣ / ٤٨٨.

السنّة، كأبي القاسم البغوي المتوفى سنة ٣١٧ وأبي بكر الشافعي المتوفّى سنة ٣٥٤ وابن عساكر المتوفّى سنة ٥٧١. والجلال السيوطي المتوفّى سنة ٩١١ وابن حجر المكّي المتوفّى سنة ٩٧٣ والمتّقي الهندي المتوفى سنة ٩٧٥[١].

وكذلك نصّ عليه كبار علماء أصول الفقه في مباحث خبر الواحد من كتبهم[٢].

وكذلك نصّ عليه كبار العلماء في علم الكلام[٣].

ولمّا كان الخبر مخالفاً للكتاب، ولم يسمع من غير أبي بكر ـ وحتّى منه إلى تلك الساعة ـ وكذّب به أمير المؤمنين والصدّيقة الطاهرة وأهل البيت، فإنّا لا يمكننا التصديق به، بل لقد وجدنا أحد كبار الحفّاظ من أهل السنة أيضاً يكذّب به ويصرّح بكونه موضوعاً، وهو الحافظ الكبير أبو محمّد عبدالرحمن بن يوسف ابن خراش المتوفّى سنة ٢٨٣[٤].

---

(١) أنظر: تاريخ الخلفاء: ٣٨، الصواعق المحرقة: ٢٠، وكنز العمال ٥ / ٦٠٥ برقم ١٤٠٧١.

(٢) أنظر: شرح المختصر لابن الحاجب ٢ / ٥٩، المحصول في علم الأصول للرازي ٢ / ١٨٠ ـ ١٨١، المستصفى في علم الاصول للغزالي ٢ / ١٢١ ـ ١٢٢، الإحكام في اصول الأحكام للآمدي ٢ / ٧٥ ـ ٧٧ وغيرها.

(٣) أنظر: شرح المواقف ٨ / ٣٥٥ وشرح المقاصد ٥ / ٢٧٨.

(٤) أنظر: تذكرة الحفّاظ ٢ / ٦٨٤ وسير أعلام النبلاء ١٣ / ٥١٠.

وقال الفخر الرازي:

«إنّ المحتاج إلى معرفة هذه المسألة ما كان إلّا فاطمة وعلي والعبّاس، وهؤلاء كانوا من أكابر الزهّاد والعلماء وأهل الدين، وأما أبو بكر فإنّه ما كان محتاجاً إلى معرفة هذه المسألة البتّة، لأنّه ما كان ممّن يخطر بباله أنّه يورّث من الرسول، فكيف يليق بالرسول أن يبلّغ هذه المسألة إلى من لا حاجة له إليها، ولا يبلّغها إلى من له إلى معرفتها أشدّ الحاجة»[١].

ثم إنّ الصدّيقة الطّاهرة قد غضبت على أبي بكر وحلفت أنْ لا تكلّمه أبداً وهجرته حتى فارقت الدّنيا، وهذا هو ما أخرجه البخاري عن عائشة قالت:

«إنّ فاطمة ـ عليها السّلام ـ بنت النبي صلّى الله عليه وسلّم أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر. فقال أبو بكر:

إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: لا نورّث ما تركنا صدقة، إنّما يأكل آل محمّد من هذا المال، وإنّي ـ والله ـ لا أُغيّر شيئاً من صدقة رسول الله عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله، ولأعملنّ فيها

(١) أنظر: تذكرة الحفّاظ ٢ / ٦٨٤ وسير أعلام النبلاء ١٣ / ٥١٠.

بما عمل بها رسول اللّٰه.

فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً.

فوجدت فاطمة على أبي بكر، فهجرته فلم تكلّمه حتى توفيت.

وعاشت بعد النبي ستة أشهر.

فلمّا توفّيت دفنها زوجها علي ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلّى عليها.

وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة»[١].

يقول المؤلّف بعد تصرّفه في الحديث:

«ويقع مثل هذا كثيراً في حياة العشائر والجماعات، وممّا تقتضيه الطبيعة البشريّة وما جبلت عليه من العاطفيّة والحساسيّة...».

ولكنّ رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله يقول:

إنّ اللّٰه ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها، فانظر ـ أيّها القارئ ـ كيف يقول بعض الناس أمام قول رسول ربّ العالمين!!

وهذا الحديث قد أخرجه:

الإمام علي بن موسى الرضا عليه السّلام في مسنده[٢].

الحافظ أبو موسى ابن المثنّى البصري المتوفى سنة ٢٥٢

---

(١) صحيح البخاري، باب غزوة خيبر، صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير ٥ / ١٥٢.

(٢) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: ٣٩.

في معجمه[١].

الحافظ أبو بكر ابن أبي عاصم المتوفى سنة ٢٨٧[٢].

الحافظ أبو يعلى الموصلي المتوفى سنة ٣٠٧ في مسنده[٣].

الحافظ أبو القاسم الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠ في معجمه[٤].

الحافظ الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥[٥].

الحافظ أبو سعد الخركوشي المتوفى سنة ٤٠٦ في شرف النبوّة[٦].

الحافظ أبو نعيم الإصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠ في فضائل الصحابة[٧].

الحافظ أبو الحسن ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠[٨].

الحافظ محبّ الدين ابن النجّار البغدادي المتوفى سنة ٦٤٣[٩].

---

(١) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: ٣٩.

(٢) الاصابة في معرفة الصحابة ٤ / ٣٧٨، شرح المواهب اللدنية ٣ / ٢٠٢.

(٣) كنز العمال ١٢ / ١١١ رقم: ٣٤٢٣٨.

(٤) المعجم الكبير ١ / ١٠٨.

(٥) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٥٤.

(٦) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: ٣٩.

(٧) كنز العمال ١٢ / ١١١ رقم: ٣٤٢٣٨.

(٨) أسد الغابة في معرفة الصحابة ٥ / ٥٢٢.

(٩) كنز العمال ١٣ / ٦٧٤ رقم: ٣٧٧٢٥.

الحافظ أبو المظفر سبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤[١].

الحافظ محبّ الدين الطبري المتوفى سنة ٦٩٤[٢].

الحافظ أبو الحجاج المزّي المتوفى سنة ٧٤٢[٣].

الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢[٤].

الحافظ ابن حجر المكّي المتوفى سنة ٩٥٤[٥].

الحافظ أبو عبدالله الزرقاني المالكي المتوفى سنة ١١٢٢[٦].

الحافظ علي المتقي الهندي المتوفى سنة[٧].

وقال صلّى الله عليه واله: إنّ فاطمة بضعة منّي من آذاها فقد آذاني أو فمن أغضبها أغضبني....

وهذا الحديث أخرجه:

البخاري في صحيحه[٨].

---

(١) تذكرة خواص الأمة: ٣١٠.

(٢) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: ٣٩.

(٣) تهذيب الكمال ٣٥ / ٢٥٠.

(٤) الإصابة في معرفة الصحابة ٤ / ٣٧٨، تهذيب التهذيب ١٢ / ٤٦٩.

(٥) الصواعق المحرقة: ١٠٥.

(٦) شرح المواهب اللدنية ٣ / ٢٠٢.

(٧) كنز العمال ١٢ / ١١١ و ١٣ / ٦٧٤.

(٨) صحيح البخاري كتاب بدء الخلق، باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه [وآله] ٤ / ٢١٠.

ومسلم في صحيحه[١].

والترمذي في صحيحه[٢].

والنسائي في خصائصه[٣].

وأبو داود في سننه[٤].

وأحمد في مسنده[٥].

والحاكم في مستدركه[٦].

والبيهقي في سننه[٧].

وأبو نعيم في حليته[٨].

ولهذا أوصت عليها الصلاة والسّلام بأنْ تدفن باللّيل، ولا يصلّي عليها أحدٌ ممّن آذاها وأغضبها، وهذا من ضروريّات تاريخ الإسلام، ومن رواته من أهل السنّة الأعلام:

---

(١) صحيح مسلم كتاب فضائل الصّحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام ٧ / ١٤١.

(٢) صحيح الترمذي فضل فاطمة رضي الله عنها ٥ / ٣٦٠، رقم ٣٩٦١.

(٣) خصائص أمير المؤمنين عليه السلام: ١٢١.

(٤) سنن أبي داود باب ما يكره أن يجمع بينهنّ من النساء.

(٥) مسند أحمد بن حنبل ٤ / ٣٢٨، ٣٢٣، ٣٣٢.

(٦) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٥٨.

(٧) سنن البيهقي ٧ / ٦٤.

(٨) حلية الأولياء ٢ / ٤٠ و ١٧٤.

البخاري، باب فرض الخمس.

مسلم، كتاب الجهاد والسير.

ابن سعد[١].

الطّحاوي[٢].

الطبري[٣].

الحاكم النيسابوري[٤].

البيهقي[٥].

أبو نعيم الإصفهاني[٦].

ابن عبدالبر القرطبي[٧].

محيي الدين النووي[٨].

---

(١) البداية والنهاية ٦ / ٢ ـ ١٠.

(٢) الطبقات الكبرى ٨ / ٢٩.

(٣) تاريخ الطبري ٣ / ١٦٢.

(٤) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٦٢.

(٥) السنن الكبرى ٦ / ٣٠٠، ٣٩٦.

(٦) حلية الأولياء ٢ / ٤٣.

(٧) الاستيعاب ٤ / ١٨٩٨.

(٨) شرح مسلم ١٢ / ٧٧.

أبو بكر الهيثمي(١).

ابن الأثير الجزري(٢).

ابن حجر العسقلاني(٣).

وأمّا حديث تخاصم علي والعباس عند عمر، فقد أخرجه مسلم في صحيحه وهذا نصّه:

«لمّا توفّي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال أبو بكر: أنا وليّ رسول الله، فجئتما، أنت تطلب ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها، فقال أبو بكر: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: لا نورّث ما تركناه صدقة، فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً، والله يعلم أنّه لصادق بارّ راشد تابع للحقّ. ثمّ توفّي أبو بكر فقلت: أنا وليّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ووليّ أبي بكر، فرأيتماني كاذباً آثماً غادراً خائناً»(٤).

وقد تصرّف البخاري في هذا الحديث وحرّفه بأشكال مختلفة، فراجعه في باب فرض الخمس، وباب حديث بني النضير من كتاب

(١) مجمع الزوائد ٩ / ٢١١.

(٢) الكامل في التاريخ ٥ / ٥٤٠.

(٣) فتح الباري ٣ / ١٦٧.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب حكم الفيء ٥ / ١٥٢.

المغازي، وباب حبس نفقة الرجل قوت سنته من كتاب النفقات، وباب قول النبي: لا نورث من كتاب الفرائض، وباب ما يكره من التعمّق والتنازع من كتاب الاعتصام[١].

وفي آخر أخرجه أحمد والبزّار ـ وقال: حسن الإسناد ـ عن ابن عباس قال: «لمّا قبض رسول الله واستخلف أبو بكر، خاصم العبّاس عليّاً في أشياء تركها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فقال أبو بكر: شيء تركه رسول الله فلم يحرّكه فلا أحرّكه، فلمّا استخلف عمر اختصما إليه، فقال: شيء لم يحرّكه أبو بكر فلا أحرّكه، فلمّا استخلف عثمان إختصما إليه، فسكت عثمان ونكس رأسه. قال ابن عباس: فخشيت أنْ يأخذه أبي، فضربت بيدي بين كتفي العبّاس فقلت: يا أبت أقسمت عليك إلّا سلّمته»[٢].

أقول:

فالذي جاء مع «العباس» هو «علي» لا «فاطمة»، وقد جاءا إلى «عمر» لا إلى «أبي بكر»، وقد قال عمر ـ عن نفسه وأبي بكر ـ ما أورده مسلم وحرّفه البخاري، وتبعه المؤلّف في التحريف....

وقد كان ما ذكرناه بعض التفصيل للقضيّة استناداً إلى ما ورد في

(١) أنظر: صحيح البخاري ٤ / ٥٠٣، ٥ / ١٨٨، ٧ / ١٢٠، ٨ / ٥٥١، ٩ / ٧٥٤.

(٢) كنز العمال ٥ / ٥٨٦ برقم ١٤٠٤٤.

المصادر الأصليّة لأهل السنّة، كما رأيت أيها القارئ الكريم، فليحكم عقلك بما يقيضيه الدين والإنصاف!

ثم قال المؤلّف في الصفحة ٨٧:

«توفّيت فاطمة رضي الله عنها بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بستّة أشهر على الأشهر... ودفنت ليلاً... وولدت لعليّ: حسناً وحسيناً ومحسّناً وأمّ كلثوم، رضي الله عنها وأرضاها».

أقول:

أوّلاً: إذا كانت على قيد الحياة بعد أبيها مدّة ستّة أشهر، وتوفّيت مهاجرةً لأبي بكر، ولم تبايعه بالخلافة، فمن بايعت؟! ومن كان إمامها؟! وهل كان غير عليّ؟!

وثانياً: لماذا كان دفنها ليلاً؟!

وثالثاً: أين «محسّن» الّذي ولدته لعليّ؟! متى وُلد؟! وما كان مصيره؟!

قال في الصفحة ٨٨:

[١٦] مبايعة سيّدنا عليّ

«واختلفت الأخبار في مبايعة عليّ متى كانت؟».

فذكر حديثاً عن البيهقي ثم قال: «والمشهور أنّ عليّاً عليه السّلام

رأى أنْ يراعي خاطر فاطمة رضي الله عنها بـعض الشيء، فـلم يبايع أبا بكر، فلمّا ماتت رضي الله عنها بعد ستّة أشهر من وفاة أبيها بايعه...».

أقول: هنا بحوث:

هل بايع علي أمير المؤمنين عليه السّلام أبا بكر؟ وكيف بايع؟ ومتى؟

قال بعض العلماء المحققين إنه لم يبايع ولا مكرَهاً، والبحث عن كيفية بيعته ووقتها إنما يطرح بناءً على وقوع البيعة....

أمّا كيفيّتها، فقد روى غير واحدٍ من الأعلام كابن قتيبة وغيره أنها كانت بعد التهديد بالقتل وأنه قد بايع والسيف على رأسه....

وأمّا وقتها، فقد روى البخاري أنّها كانت بعد رحيل الصدّيقة الطاهرة عليها السّلام، قال: «فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرته فلم تكلّمه حتى توفيت. وعاشت بعد النبي صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ستة أشهر. فلمّا توفيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلّى عليها. وكان لعلي من الناس وجهٌ حياة فاطمة، فلما توفّيت استنكر علي وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن يبايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا ولا يأتي أحد معك، كراهية لمحضر عمر...»[١].

(١) صحيح البخاري كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ٥ / ٢٥٢.

ففي هذا الحديث: إن فاطمة لم تبايع أبا بكر حتى توفيت، وإنّ علياً ما بايعه حتى توفيت، ولمّا توفيت استنكر وجوه الناس... أي: اضطرّ لأنْ يبايع.

فبناءً على أنه قد بايع، فإنّ ذلك كان بعد وفاتها عن كرهٍ واضطرار، ولو بقيت فاطمة في الحياة سنيناً لما بايع، لأنه الخليفة بعد رسول اللّـه بلا فصلٍ، بالأدلّة العقليّة والنقلية المذكورة في الكتب المفصّلة.



الفصل الرابع

سيّدنا عليّ في خلافة عمر

وافتتح هذا الفصل بذكر أشياء جعلها مناقب لعمر.. فجميع ما أورده ـ من الصفحة ٩٧ إلى الصفحة ١١٤ ـ لا علاقة له بموضوع كتابه، فلا نعلّق عليه بشيء، وإنْ كان لنا هنا كلام كثير... والقدر الذي له صلة بالموضوع ما ذكره في الصفحة ١٠٣:

[١٧] «وكان عليّ لسيّدنا عمر ناصحاً أميناً، وقاضياً في المعضلات، حكيماً بفضّ المشكلات ويزيح الشبهات، حتّى عن سيّدنا عمر أنّه قال: (لولا عليّ لهلك عمر) واشتهر في التاريخ والأدب، وذهب مثلاً: (قضية ولا أبا حسنٍ لها) وروي عن النبي صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم أنّه قال: أقضاهم عليّ، وقد استخلفه عمر عند رحيله إلى القدس، وقد زوّجه عليّ بنته أمّ كلثوم، وهو دليل على إكرامه له وارتباطه به».

أقول:

أوّلاً: الكلمات المشهورة التي قالها عمر في حقّ عليّ، إنْ دلّت على شيء، فإنّها تدلّ على جهله بالأحكام الشرعيّة، وتحيّره أمام المشكلات العلمية، والقضايا الطارئة... فكان الأولى بالمؤلّف ـ الّذي يريد ـ كما قال في المقدّمة ـ أن يدرس سيرة أمير المؤمنين عليه السلام وما امتاز به من خصائص ومواهب دراسة تاريخية محايدة... ـ أن يصرّح بما قلناه، لا أنْ يصوّر عليّاً عليه السلام كقاضٍ من قضاة حكومة عمر...!

وثانياً: إنّ عليّاً عليه السّلام ـ الذي كان يعتقد في عمر ما رواه مسلم في صحيحه كما تقدّم ـ كان لا يرى عمر خليفة حقٍّ عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله حتى يكون له مناصحاً أميناً... وإنّما كان يحفظ الإسلام والشريعة من التلاعب والتحريف بقدر الإمكان.

وثالثاً: لقد حقّق غير واحد من المحقّقين خبر تزويج عليّ عليه السّلام ابنته من عمر، وظهر أنْ لا واقعية لِما ينقل في بعض الكتب حول هذا الخبر، ولنا رسالة مفردة في هذا الموضوع وهي مطبوعة.

ورابعاً: هناك موارد كثيرة عَلَّمَ الإمامُ عليه السلام ـ وهو باب مدينة العلم ـ عمرَ بن الخطّاب وجهَ الحقّ والصواب، لئلّا تنتهي تصرّفاته عن جهل بالأمور إلى وهن الإسلام وخذلان المسلمين، وهذه حقائق لا ينكرها أحد من المسلمين.

الفصل الخامس

سيّدنا عليّ في خلافة عثمان

وفي هذا الفصل، يذكر المؤلّف العناوين التالية:

مبايعة عثمان،

مكانة عثمان الدينية والاجتماعية،

الفتوح في زمن عثمان واتساع الدولة الإسلامية،

مأثرة عثمان العظيمة الخالدة،

محنة عثمان في الخلافة،

الفتنة تبلغ ذروتها،

حصر عثمان،

شهادته!!

دور سيّدنا الرائع في حمايته، أثر العقيدة في عثمان وسيرته وعلوّ مكانته في الإسلام.

وأنت ترى أنْ لا شيء من هذه العناوين يرتبط بسيّدنا أمير المؤمنين عليه السلام.

ولا يخفى أنّ أكثر ما جاء في هذا الفصل، فإنّما هو كلمات ينقلها المؤلّف من الأستاذ كرد علي، وعبّاس محمود العقّاد....

ونحن في غنىً -الآن- من التعرّض لما جاء في هذا الفصل بالنقد... لأنّ المؤلّف بصدد الدفاع عن عثمان وبني أُمّية الّذين سوّدوا وجه التاريخ، وشوّهوا صورة الإسلام... والأشنع من هذا سعيه في الفصلين اللاحقين وراء توجيه بغي الباغين وخروج الخارجين على أمير المؤمنين عليه السلام....

والإعراض عمّا أتى به أوْلى من التعرّض له. فقد كان الغرض التنبيه على دسائس المؤلّف ووساوسه، والكشف عن مقاصده وهواجسه....

ربّنا آمنّا بما أنزلت واتّبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين.

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين.

والحمد لله ربّ العالمين.

المحتويات